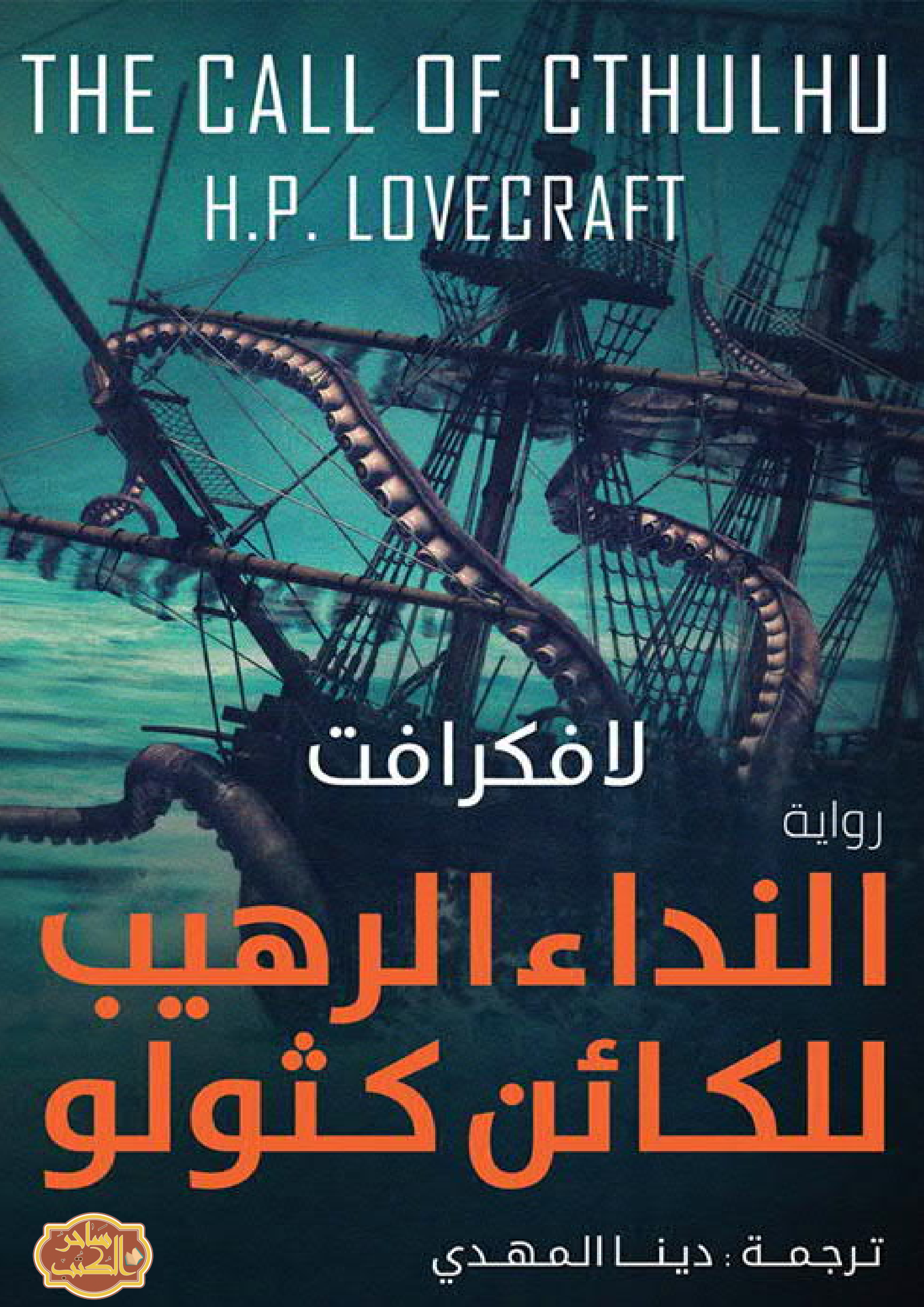
THE CALL OF CTHULHU
H.P. LOVECRAFT
لافكرافت
رواية
النداء الرهيب
للكائن كثولو
ترجمة : دينا المهدي

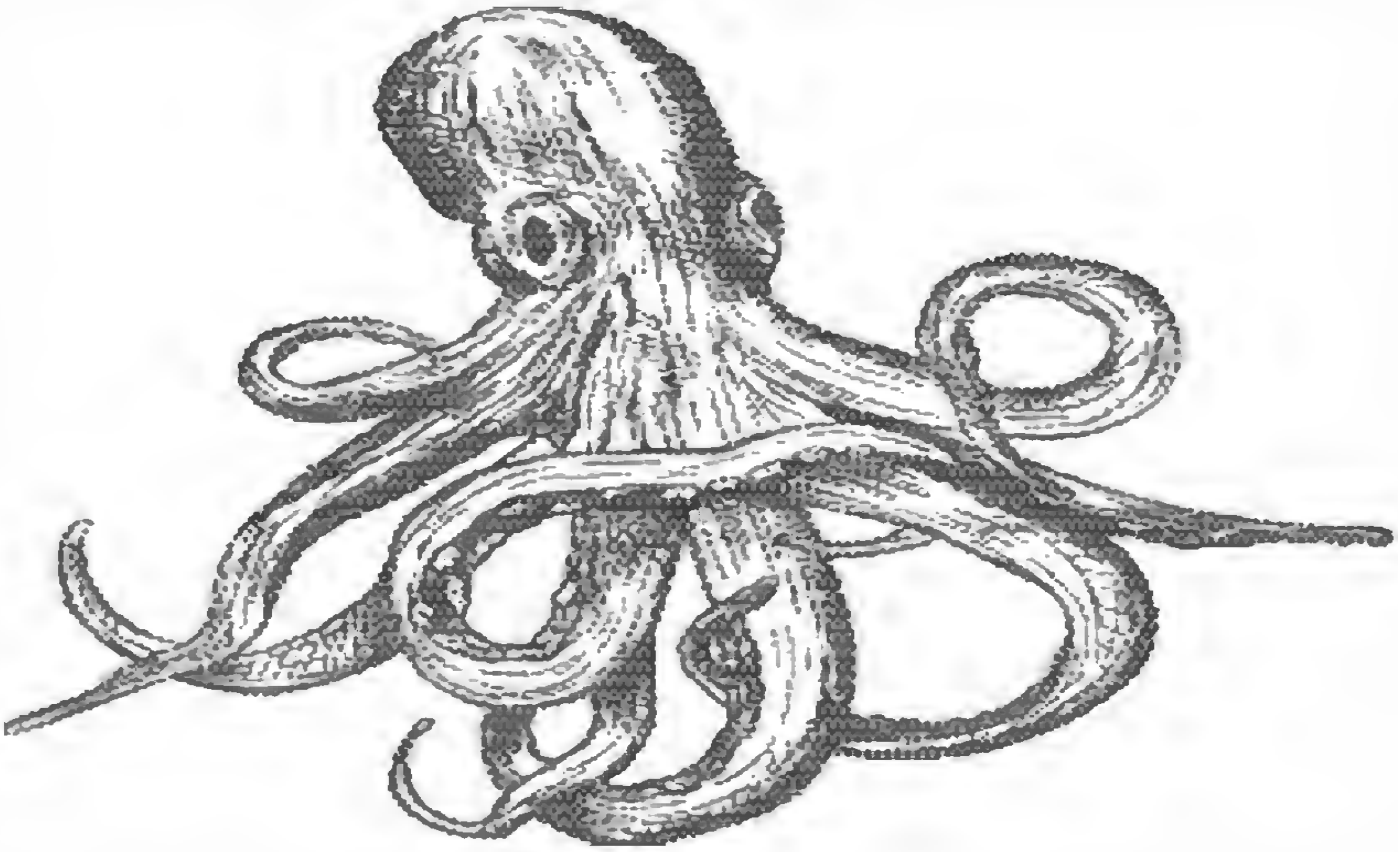

الفصل الأول

رعب على الصلصال

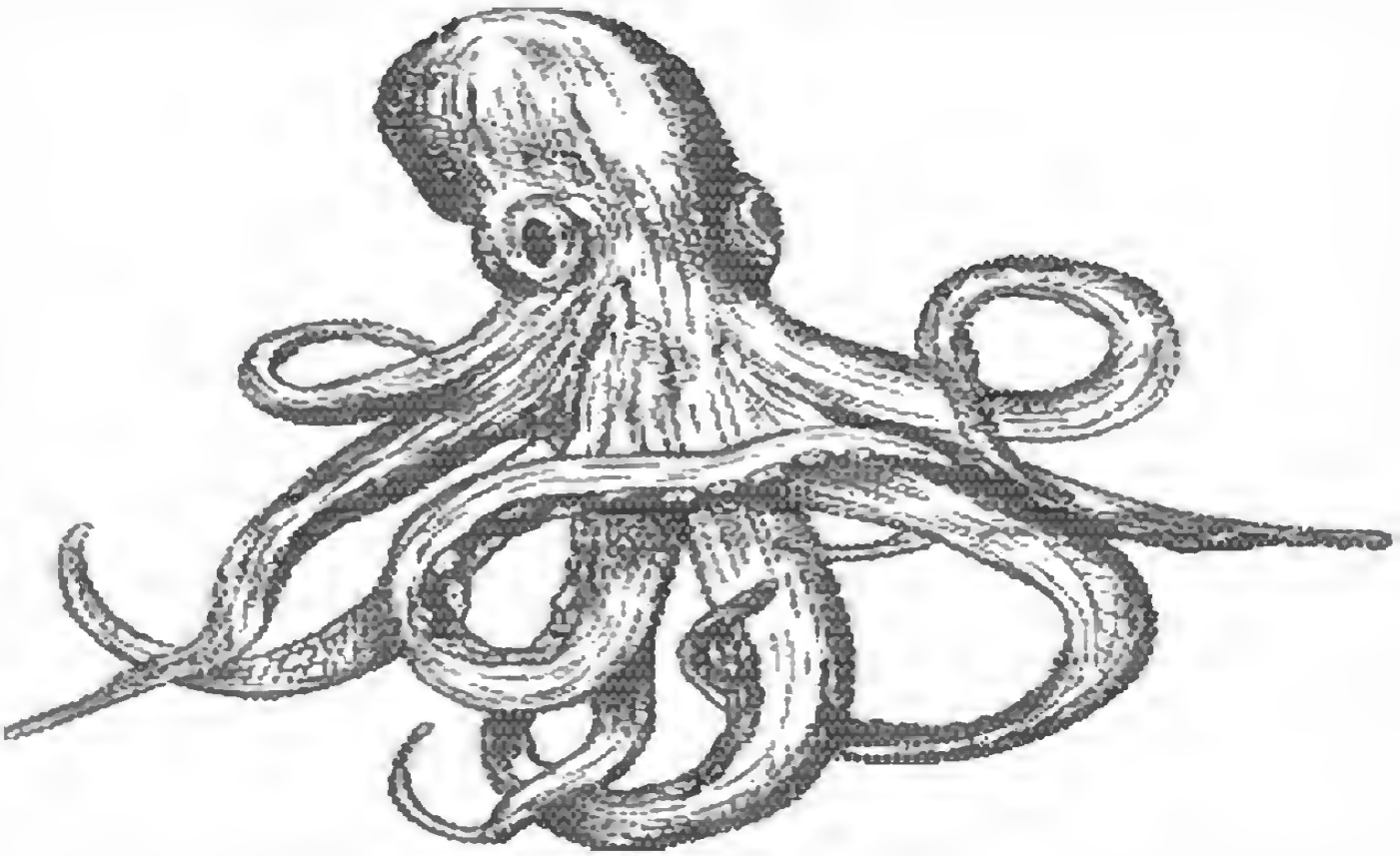

أعتقد أن أكثر الأشياء رحمة هو عجز العقل البشري عن الإلمام بكل ما يَشتَمِل عليه الكون. نحن نعيش في جزيرة الجهل النائية والبعيدة في وسط بحار سوداء من اللانهائية، وقد كُتِب علينا ألا نبحر بعيدًا. فالعلوم التي تجذِبُنا كل منها في اتجاهه لم تضرنا كثيرًا إلى وقتنا هذا؛ ولكن في يوم من الأيام، سوف تنجح تلك المعارف المتناثرة في فتح آفاق مرعبة ومفزعة للواقع وثغرات مخيفة في جدار الحقيقة، لنفهم وضعنا المُفزع على أثر هذا التجلي. وعندها إما أن نجن أو أن نهرب من الضوء

إلى الظلام والأمان حيث العصور المظلمة الجديدة.

لقد افترض الثيوصوفيون(1) حجم الكون المروع وعظمته المدهشة التي يبدو فيه عالمنا ووجودنا البشري مجرد حوادث عارضة وعابرة. ولقد ألمحوا إلى قصص غريبة عن البقاء، مستخدمين عبارات تشيب الرأس وتصيب بالرعب وتُذهِب العقول وتجَمِّد الدم في العروق وتقشعر لها الأبدان؛ إن لم تكن مستترة وراء تفاؤل طفيف. ولكنهم لم يلمحوا ولو لمرة واحدة إلى الحقب المظلمة التي تفزعني وتصيبني بالقشعريرة عندما أفكر فيها تارة وتثير جنوني عندما أحلم بها تارة أخرى.

تلك اللمحة، مثلها مثل كل اللمحات المخيفة من الحقيقة، جاءت من احتشاد معلومات متناثرة بطريق الصدفة – مثلاً في حالتي أنا – جاءت من صفحة جريدة قديمة وملاحظات كتبها أستاذ جامعي ميت. آمل ألا ينجح شخص آخر في تجميع تلك المعلومات ثانية. بالطبع، إذا بقيت على قيد الحياة! لأنني ما دمت حيًّا لن أضع أبدًا وعن عمد حلقة أخرى في تلك السلسلة المروعة.

أعتقد أن البروفيسور كان ينوي أيضًا أن يلتزم الصمت ويخفي ما يعلمه، وأنه كان سيحرق مذكراته لولا أن الموت اختطفه.

بدأ كل شيء في شتاء عام ١٩٢٦- ١٩٢٧ مع وفاة عمي جورج جاميل أنجيل؛ الأستاذ الفخري في اللغات السامية بجامعة براون، في بروفيدنس، ولاية رود آيلاند الأمريكية.

كان البروفيسور أنجيل حجة في النقوش والنصوص القديمة، وكثيرًا ما كان يستشيره رؤساء متاحف مشهورة؛ ولذلك سوف يتذكر كثيرون وفاته في سن الثانية والتسعين. تم تكثيف الاهتمام محليًّا بسبب الغموض الذي حام حول سبب وفاته.

فقد أصيب البروفيسور أثناء عودته من قارب نيوبورت؛ حيث سقط فجأة، كما قال الشهود، بعد أن دفعه زنجي يرتدي زيًّا بحريًّا جاء من إحدى الساحات المظلمة الغريبة التي تقع على سفح التل المتعرج؛ وهو الطريق المختصر من الساحل إلى منزل المتوفى الكائن في شارع ويليامز.

لم يعرف الأطباء سبب الوفاة، ولم يعثروا على أي اضطراب واضح، ولكن بعد مناقشات محيرة توصلوا إلى خلل غامض بقلب العجوز الذي لم يتحمل السقطة؛ أو بسبب صعوده مسرعًا لتل شديد الانحدار، مما أودى بحياته.

في ذلك الوقت، لم أر شيئًا غريبًا في هذا، لكنني فيما بعد أصبحت بدأت أتساءل ومازلت — وربما

أكثر من ذلك – فقد صعقتني الدهشة.

بصفتي وريث عمي الوحيد ومنفِّذ وصيته لأنه مات أرمل بلا أبناء، كان من المتوقع أن أتصفح أوراقه بدقة وتريث. ولهذا الغرض، قمت بنقل جميع ملفاته وصناديقه إلى مكتبي في بوسطن لكي أدرسها بعناية فائقة.

معظم هذه الأوراق - التي قمت بتجميعها وربطها ببعض لاحقًا - ستنشرها جمعية الآثار الأمريكية، ولكن من بين كل هذا يوجد صندوق واحد محيِّر للغاية، لم أكن أرغب في أن تراه عيون أخرى. فقد كان موصدًا بإحكام ولم أجد المفتاح حتى خطر لي أن أفحص حلقة المفاتيح التي كان يحملها البروفيسور في جيبه. وبالفعل، نجحت في فتحه، ولكن ظهرت أمامي عقبة أكبر وأصعب. ما معنى هذا النقش الغائر الغريب على قطعة صلصال ومجموعة قصاصات أوراق لا علاقة بينها؟

هل أصبح عمي في سنواته الأخيرة يصدق هذا الدجل؟ أم كان في أواخر أيامه ضحية نصب؟ لذا قررت أن أبحث عن النحات غريب الأطوار المسئول عن حرمان هذا الرجل المسِّن من راحة باله.

جلس والرعب في عينيه يتأمل النقش الغائر على شكل مستطيل سمْكُه أقل من بوصة تقريبًا وأبعاده

تتراوح من خمس إلى ست بوصات. ومن الواضح أنه حديث الصنع، إلا أن تصميمه لا يمت للحداثة بصلة من حيث الإطار والصبغة، بل يمت للانتظام الغامض المميز لكتابات الأقدمين؛ على الرغم من أن أهواء المدرسة التكعيبية والحركة المستقبلية كثيرة وجامحة، فإنها لا ينتج عنها مثل هذا الاتساق المبهم الذي يكمن في نقوش غامضة متعلقة بما قبل التاريخ. تلك النقوش تبدو لي ككتابات بلغة ما. ومن الغريب أن عمي لم يشر قط لهذه القطعة في أوراقه الكثيرة كأنها لم توجد، فقد فشلت ذاكرتي بأي شكل من الأشكال في تحديد الأنواع الحية المنقوشة على الصلصال، أو حتى معرفة أصولها البعيدة.

فوق تلك النقوش الظاهرة يوجد مجسم بارز لصورة كائن غريب يصعب تبيُّنُ طبيعته.. لم أره من قبل.. فلولا غموض الختم المطبوع عليه لاستطعت التعرُّف على نوعه بشكل واضح. لكنه بدا لي كوحش ما، أو ربما رمز يمثل وحشًا.. هذا النقش يأخذ شكلاً لا يمكن لأحد أن يتصوره سوى خيال مريض. إذا أطلقت العنان لخيالي الممعن إلى حد كبير، ربما أقول لك إنني تخيلت رؤية أخطبوط، وتنين، ورسم كاريكاتيري لإنسان، لكن بهذا لن أكون أمينًا في الوصف ولا يمكن ألا أنتبه إلى روح

هذا الشيء. رأس مدبب ذو مجسات ولوامس فوق جسد مشوه وقشري ومغطًّى بالحراشف له جناحان ضامران. في الواقع إنه المظهر العام لهذا الشيء هو الذي يقذف الرعب والفزع في قلب كل من رآه.. مخيفة للغاية!! وخلفية هذه الصورة تعطي بعض الإشارات والانطباعات الغامضة بوجود بنية هندسية ضخمة بحجارة غير متناسقة الأحجام تنتمي إلى المدينة السيكلوبية(2).

مع هذا النحت الغريب، وجدت بعض الكتابات مكتوبة بخط البروفيسور أنجيل في أيامه الأخيرة، إلى جانب كومة قصاصات الجرائد والصحف. لم تُكتب تلك النصوص بشكل روائي قط. وما يبدو واضحًا أن الوثيقة الرئيسية تحمل عنوان: «طائفة كثولو».

كُتبت بحروف متفرقة وبارزة وطُبعت بعناية لا تسمح بأية أخطاء في نطق أو قراءة كلمة لم أسمع بها من قبل. كثولو!! يا ترى ماذا يعني هذا الاسم؟ كان النص مقسمًا لقسمين، الأول: يحمل عنوان «١٩٢٥ - حلم وأعمال الحلم بواسطة ه. أ. ويلكوكس، بـ ٧ شارع توماس، مدينة بروفيدانس، ولاية رود أيلاند»، والثاني: يحمل عنوان «قصة المفتش جون ر. ليجراس، بـ١٢١ شارع بيانفيل،

مدينة نيو أورليانز، ولاية لوس أنجلس، اجتماع جمعية الآثار الأمريكية عام ١٩٠٨ - ملاحظات عليه، ورواية بروفيسور ويب للأحداث التي وقعت وقتها».

أما باقي الأوراق فكانت تضم مذكرات موجزة، وبعضها يمثل أحلامًا مريبة يرويها أشخاص مختلفون، والبعض الآخر عبارة عن اقتباسات من الكتب والمجلات الثيوصوفية (لا سيما كتاب وليام سكوت إليوت «أسطورة أطلانتيس وليموريا المفقودة»، وباقي التعليقات تدور حول مجتمعات وطوائف دينية سرية ظلت على قيد الحياة لسنوات طويلة، مع إشارات إلى فقرات في كتب أسطورية وأنثروبولوجية مثل كتاب «الغصن الذهبي» لجيمس جون فريزر، عالم أنثروبولوجيا أسكتلندي؛ وهو عبارة عن دراسة في السحر والدين؛ وكتاب «جماعات السحر في أوروبا الغربية» الذي ألفته مارجريت موراي، عالمة مصريات وآثار وأنثروبولوجيا ومؤرخة بريطانية. وكثيرًا ما أشارت النقوش المحفورة إلى تفشي الأمراض العقلية الشاذة وحالات الجنون والهوس الجماعي في ربيع عام ١٩٢٥.

القسم الأول يحكي حكاية في غاية الغرابة. يبدو

أنه في الأول من مارس عام ١٩٢٥، زار البروفيسور أنجيل شابًّا أسمر نحيلًا بادي العصابية والقلق ومعه نقش غائر مصنوع من الصلصال، والذي كان وقتها لا يزال طازجًا لينًا وحديث الصنع. كانت بطاقة هذا الرجل تحمل اسم هنري أنتوني ويلكوكس، عندما رآه عمّي تعرّف عليه؛ فهو الابن الأصغر لأسرة عريقة بالكاد يعرفها، ذهب ليدرس فن النحت في الآونة الأخيرة بكلية رود آيلاند للتصميم، ويعيش وحده في مبنى فلور دي لي(3) بالقرب من تلك الكلية. ويلكوكس كان شابًّا مبكر النضج معروفًا بشدة ذكائه وكذلك بغرابة أطواره، وكان منذ طفولته شديد الاهتمام بدراسة الظواهر الغريبة والقصص المريبة والأحلام الشاذة؛ حيث كان قادرًا على تفسيرها وربط أحداثها ببعض. وطالما كان يصف نفسه بأنه «شديد الحساسية نحو الخوارق»، إلا أن قوم العقلاء في المدينة التجارية القديمة قاموا بطرده من الكلية؛ فقط لكونه «غريب الأطوار». لهذا كان منطويًا، وصار خفيًّا بالنسبة لمجتمعنا، فلم يعد يعرفه آنذاك سوى مجموعة صغيرة من فناني النحت والجماليات في البلدان المجاورة. حتى نادي بروفيدنس للفنون، الذي كان حريصًا على الحفاظ على نزعة المحافظة والحيادية، رأى أن هذا الشاب ميئوس منه.

وخلال هذه الزيارة، كما ذكر البروفيسور أنجيل في كتابه، كان النحات قد جاء لعمي فجأة يطلب عونه في قراءة النقوش المبهمة المحفورة على النحت الغائر وليستعين بمعرفته ودرايته الواسعة في علم المصريات. والطريقة الغامضة والمصطنعة التي كان يتحدث بها أثارت حيرة البروفيسور وحالت دون تعاطفه. لذا كان عمي حادًّا معه نوعًا ما؛ لأن طراوة العينة التي أحضرها أشارت ضمنيًّا إلى ارتباطها بكل شيء ما عدا علم الآثار. وجاء رد ويلكوكس الأصغر على البروفيسور في شكل أبيات شعرية ألقاها بغرابة وإبداع مجسدًا محادثته بالكامل – والتي اكتُشفت منذ ذلك الحين أنها إحدى الصفات المميزة له. ومن شدة إعجاب عمي بما قال، تأثر بدرجة كبيرة حتى أنه تذكر كل ما قاله هذا الشاب وسجله بالحرف الواحد. قال ويلكوكس: «هذا الصلصال بالفعل حديث؛ لأنني نقشت عليه الليلة الماضية ما رأيته في حلم المدن الغريبة، وأحلام أقدم من قصائد الشاعر الأمريكي ريتشارد لويس تيرني «حيرة مدينة صُوْر»(4) و«تأمل أبو الهول» أو «مدينة بابل المزينة بالحدائق».

في ذلك الوقت، بدأ يحكي حكاية غريبة وغير مترابطة الأحداث نهائيًّا؛ حكاية تلاعبت على

الذاكرة النائمة ونالت اهتمام عمي المحموم. في الليلة السابقة لذلك اليوم حدثت هزة أرضية خفيفة، وهي أقوى هزةٍ شَعرَ بها سكان مدينة نيو إنجلاند منذ سنوات. وقد تأثر خيال ويلكوكس بشكل كبير بتلك الواقعة. عندما نام الفتى حلم بمدن سيكلوبية عملاقة بها مبانٍ ضخمة ونصب ومسلات حجرية من أحجار التيتان العملاقة(5) تناطح السماء، كلها ينزُّ منها طمي بحري أخضر لزج ويغمرها شر خفي غير مرئي ويحاصرُها الرعب والهلع من كل الجهات. وقد غطت النقوش الهيروغليفية الغائرة الجدران والأعمدة وكل شيء، ومن بقعة مجهولة في الأعماق يَصدُر صوت لم يكن عاديًّا؛ بل هو شعور فوضوي مضطرب يحيط بكل من تطأ قدمه تلك المدن ولا يقدر أن يعتبره صوتًا سوى الخيال، لكنه حاول أن ينطق أصواتًا غير واضحة أو مفهومة تبين فيها كلمة «كثولو فهتاجن»(6).

كانت هذه الأصوات غير المفهومة هي المفتاح لاستعادة ذكريات البروفيسور أنجيل من جديد، مما أثار حماسه وقلقه في آن واحد. وراح يستجوب النحات باهتمام بالغ لمعرفة التفاصيل العلمية. وبحماسة جنونية، يتفحص النحت الغائر المريب الذي صنعه الشاب بنفسه على الصلصال، وهو

هادئ ويرتدي فقط ملابسه الليلية، عندما تسللت اليقظة إلى دواخله على نحو مدهش.

ألقى عمي باللوم على شيخوخته، قال ويلكوكس بعد ذلك؛ لبطئه في التعرُّف على النقوش الغائرة والصورة المختومة على النحت. فيما بعد سيطر الندم على عمي كثيرًا؛ لأنه لم يفهم المعنى الفوري لهذه النقوش، وأضاع كثيرًا من الوقت يستجوب الفتى ويطرح عليه العديد من الأسئلة التي كانت في غير محلها، عما إذا كان ينتمي إلى جماعة دينية أو وثنية سرية. ولم يستطع ويلكوكس فهم وعود البروفيسور المتكررة بأن يظل الأمر سرًّا.

فلما أيقن البروفيسور أنجيل أن النحات لا يداري سرًّا حاصر زائره بمطالب منها أن يخبره بمحتوى أحلامه في المرات القادمة. وهذا الطلب قد أتى ثماره أخيرًا؛ لأنه بعد المقابلة الأولى سجل عمي في مذكراته زيارات الشاب اليومية، حيث تكررت أحلام مماثلة ربط خلالها بين تفاصيل مذهلة من خيال ليلي دائمًا كان مثقلاً بعبء الآفاق السيكلوبية البشعة المكونة من حجارة سوداء التي تقطر طميًا بحريًّا لزجًا، مع صوت يصدر من جوف الأرض أو صراخ مستمر بشكل رتيب ذي تأثيرات مبهمة على الشعور يتعذر وصفها، صوت تمتمات غامضة غير

مفهومة كالرطن. ولكن الفتى كان يسمع في أحلامه دومًا كلمتي «كثولو» و«روليا‌ه».

استمر عمي في تسجيل زيارات ويلكوكس حتى ٢٣ مارس، حينما اختفى الفتى في ظروف غامضة ومبهمة. وبالسؤال عنه، كشفت التحقيقات في مكانِ سكنِه أنه كان مصابًا بحمَّى غامضة وقد نُقِل إلى منزل أسرته في شارع ووترمان؛ حيث أخذ يصرخ طوال الليل، إلى أن أيقظ العديد من الفنانين الآخرين في المبنى، ومنذ ذلك الحين كانت تبدو عليه نوبات من الهذيان والغيبوبة. وفور أن عرف عمي بخبر مرضه، اتصل بالعائلة ليطمئن عليه، ومن ذلك الوقت كان يراقب عن كثب القضية لمعرفة أخباره؛ كما راح يتردد على الدكتور توبي؛ طبيبه المعالج، بعيادته بشارع ثاير. فقد كان ويلكوكس مصابًا بالحمى وغارقًا في الهلاوس والخيالات، وعلى ما يبدو أن عقله كان يفكر في أشياء غريبة. بدأ الطبيب يرتجف بَيْنَ آنٍ وآخَرَ وهو يحكي عن ذات الرؤى التي وصفها من قبل، مع وصف شيء عملاق يبلغ ارتفاعه عدة أميال يمشي أو يتحرك بتثاقل.

ظل يصف هذا الشيء ليلاً ونهارًا وصفًا كاملاً، ولكن الكلمات المحمومة التي يهلوس بها، كما

كرر الدكتور توبي، أقنعت البروفيسور أنها تطابق ذلك المسخ الذي لا يحمل اسمًا وحاول وصفه في منحوتة أحلامه. وألمح الطبيب إلى أن مجرد الإشارة إلى هذا الكائن كانت دائمًا بداية انهيار هذا الفتى؛ حيث أدت إلى دخوله في غيبوبة مستمرة. ومن الغريب أن درجة حرارته لم تكن أعلى بكثير من درجة حرارة جسم الإنسان الطبيعية. لكن حالته بأكملها كانت على خلاف ذلك؛ وكان رأي الطبيب أن الحمَّى ناجمة عن مرض عضوي ولا يمكن تفسيرها باضطراب عقلي.

في الثاني من إبريل في حوالي الساعة الثالثة مساءً، زالت جميع آثار وأعراض مرض ويلكوكس فجأة؛ وجلس مستقيمًا في فراشه مندهشًا من كونه في منزله، فهو لا يذْكُر مطلقًا أي شيء حدث له منذ ليلة ٢٢ مارس وما إذا كان ما رآه حلمًا أو حقيقةً. وحينما كشف عليه طبيبه؛ حيث رأى أنه استعاد صحته وتعافى تمامًا، لذا عاد إلى بيته بعد ثلاثة أيام من إفاقته. لكن لم يعد الفتى ذا نفع للبروفيسور أنجيل أكثر من ذلك. فقد اختفت كل ذكريات الأحلام الغريبة مع شفائه، ومنذ ذلك الوقت لم يسجل عمي أفكاره الليلية بعد أسبوع من سرده لروايات غير مجدية لا علاقة لها تمامًا بالرؤى

المعتادة السابقة.

وهنا انتهى الجزء الأول من المذكرات، لكن هناك بعض المذكرات الأخرة المبعثرة جعلتني أفكر بعمق - إلى حد كبير، في الواقع، أن الشك المتأصل بداخلي والذي يشكل فلسفتي في الحياة هو السبب وراء استمرار انعدام الثقة في الفنان.

كانت المذكرات المعنية تصف أحلام أشخاص آخرين وتقع في نفس الفترة التي تدور فيها أحلام ويلكوكس وقام فيها بزياراته الغريبة لعمي. وعلى ما يبدو أن عمي سرعان ما أجرى عددًا هائلًا من الأبحاث المفصلة بين مجموعة كبيرة من الأصدقاء تمكن من استجوابهم دون افتراء، يطلب منهم فيها أن يحكوا عن أحلامهم الليلية، وتواريخ أي رؤى جديرة بالملاحظة فيما مضى.

لا أعرف مدى الاستجابة لمطلبه، يبدو أن الاستجابة لطلبه قد اختلفت من شخص لآخر؛ ولكن أعتقد أنه قد تلقى – على أقل تقدير – أوراقًا تفوق قدرة رجل بلا سكرتارية على المتابعة. لم يحتفظ بكل هذه المراسلات الأصلية، ولكن في الحقيقة قدمت ملاحظاته ملخصًا دقيقًا ومفصّلًا للغاية. كان عامة الناس في المجتمع والأعمال التجارية – الطبقة التقليدية بمدينة نيو إنجلاند التي تُعرف

بـ «ملح الأرض» – لا يشكلون أهمية ما لأنهم لم يروا شيئًا رغم وجود حالات متفرقة مقلقة تظهر عليها أعراض اضطراب غير معروفة أسبابها ليلاً هنا وهناك بشكل دائم في الفترة ما بين ٢٣ مارس و٢ إبريل؛ وهي نفس الفترة التي أصيب فيها الشاب ويلكوكس بالهذيان. العلماء كذلك لم يعطوا معلومات هامة لكن كانوا أكثر تأثرًا في تلك الفترة، على الرغم من أن أربع حالات ألمحت إلى أوصاف غامضة ومربكة ومحيرة لرؤى سريعة لمناظر طبيعية مريبة ومفزعة ومثيرة للرعب، وحالة واحدة ذكرت إحساسها بالخوف من شيء غامض غير طبيعي.

فقط الفنانون والشعراء هم من أعطوا إجابات مهمة، وكان الذعر لينتشر ويسود الأرجاء لو أنهم تمكنوا من مقارنة أحلامهم ببعضها. وبما أنها افتقرت إلى المراسلات الأصلية، أصبحت أشك تقريبًا في الشخص الذي جمّع تلك المذكرات؛ هل طرح أسئلة استدراجية ولقّن الحالات بتلك الإجابات، أو أنه حرر المراسلات كي يثبت وجهة نظره لتمسكه بها بشكل مستتر؟ وهذا هو السبب الذي جعلني أشك أن ويلكوكس قد اطلع بطريقة ما على البيانات القديمة التي كانت في حوزة عمّي، وأنه كان يملي رأيه على ذلك العالم المخضرم.

سردت تلك الردود من فناني النحت حكاية محيرة ومزعجة؛ حلم نسبة كبيرة من هؤلاء الفنانين في الفترة من ٢٨ فبراير إلى ٢ إبريل، بأشياء غريبة وعجيبة للغاية؛ حيث أصبحت الأحلام أكثر حدة وغرابة ورعبًا في نفس الفترة التي أصيب النحات فيها بالهذيان. فأكثر من ربع الذين أبلغوا عن هلاوس وهواجس وأحلام مريبة، ذكروا رؤية مشاهد وسماع أصوات خافتة لا تختلف عن تلك التي وصفها ويلكوكس. واعترف بعض الحالمين بالخوف الشديد من ذلك الشيء المجهول العملاق الذي يظهر في آخر أحلامهم.

وكانت رواية إحدى الحالات، والتي ركزت تلك المذكرات على وصفها، حزينة للغاية. فقد كان الشخص الذي يخضع للدراسة مهندسًا معماريًّا معروفًا على نطاق واسع مولعًا بالثيوصوفية والقوى فوق الطبيعية، وقد أصابته حالة جنونية تتوافق مع نفس تاريخ حجز ويلكوكس في المصحة بسبب إصابته بالحمَّى، ثم مات لاحقًا بعد مرور عدة أشهر وهو يصرخ صراخًا لا ينقطع، مستغيثًا كي يتم إنقاذه من شيء فر من الجحيم هاربًا.

لو كان عمي قد أشار إلى هذه الحالات بأسمائها الحقيقية بدلاً من تسجيلها بالأرقام فقط، لكنت

قد حاولت أن أتحقق من تلك المعلومات بنفسي، وعملت على إثباتها بشكل أكثر وضوحًا. ولكن رغم أن التقارير مبهمة، فإنني نجحت في تتبُّع عدد قليل من تلك الحالات. فجميعها – مع ذلك – كانت تحتوي على ملاحظات كاملة. لقد تساءلت في كثير من الأحيان عما إذا كان جميع الأشخاص الذين خضعوا للدراسة والاستجواب من قبل البروفيسور، مشوشين مثلما حدث في هذا الجزء. ومن الجيد ألا يكون هناك أي تفسير لحالاتهم على الإطلاق.

أما قصاصات الجرائد والصحف، فقد تطرقت، كما تحدثت، عن حالات الذعر والهوس وغرابة الأطوار خلال تلك الفترة المحددة. يبدو أن عمي البروفيسور أنجيل قد استعان بوكالة صحفية ما تجمع له أخبار الصحف حول العالم؛ لأن عدد القصاصات كان ضخمًا، والمصادر كانت متناثرة في جميع أنحاء العالم. مثلًا هذا الخبر عن قصة انتحار مهندس وقعت ليلًا في لندن؛ حيث كان يحلم ثم نهض صارخًا وألقى بنفسه من نافذة. وهذا الخبر أيضًا عبارة عن رسالة مشتتة وغير مترابطة إلى رئيس تحرير إحدى الصحف في أمريكا الجنوبية؛ حيث يستنتج رجل متعصب مستقبلًا مخيفًا من الرؤى التي شاهدها. وهناك أخبار من ولاية كاليفورنيا عن مستعمرة لطائفة ثيوصوفية

جميعها ترتدي ثيابًا بيضاء كنوع من ممارسة طقوس ماجنة، في حين هناك برقية من الهند تصف حالات هياج واضطرابات خطيرة أصابت السكان في يومي ٢٢-٢٣ مارس.

تمتليء منطقة غرب إيرلندا كذلك بالشائعات والأساطير الوحشية، فهناك رسام شهير يدعى آردوا-بونوت(7) يعلق لوحة مخيفة اسمها «صورة حلم» في صالون الربيع في باريس عام ١٩٢٦. وهناك تم رصد العديد من المشكلات في مستشفيات الأمراض العقلية، لا شيء سوى المعجزة كان يمكن أن يمنع الجمعيات الطبية من ملاحظة التطابق المريب بين جميع الحالات والتوصل إلى استنتاجات محيرة. الغريب أن مجموعة هائلة من القصاصات ذكرت نفس الشيء. لكن في هذا اليوم تحديدًا لا يمكنني أن أتصور العقلانية القاسية التي جعلتني أضع كل هذه الأدلة جانبًا؛ وذلك لاقتناعي وقتها أن الشاب ويلكوكس كان يعرف بالأمور القديمة التي ذكرها البروفيسور.

الفصل الثاني

حكاية المفتش ليجراس

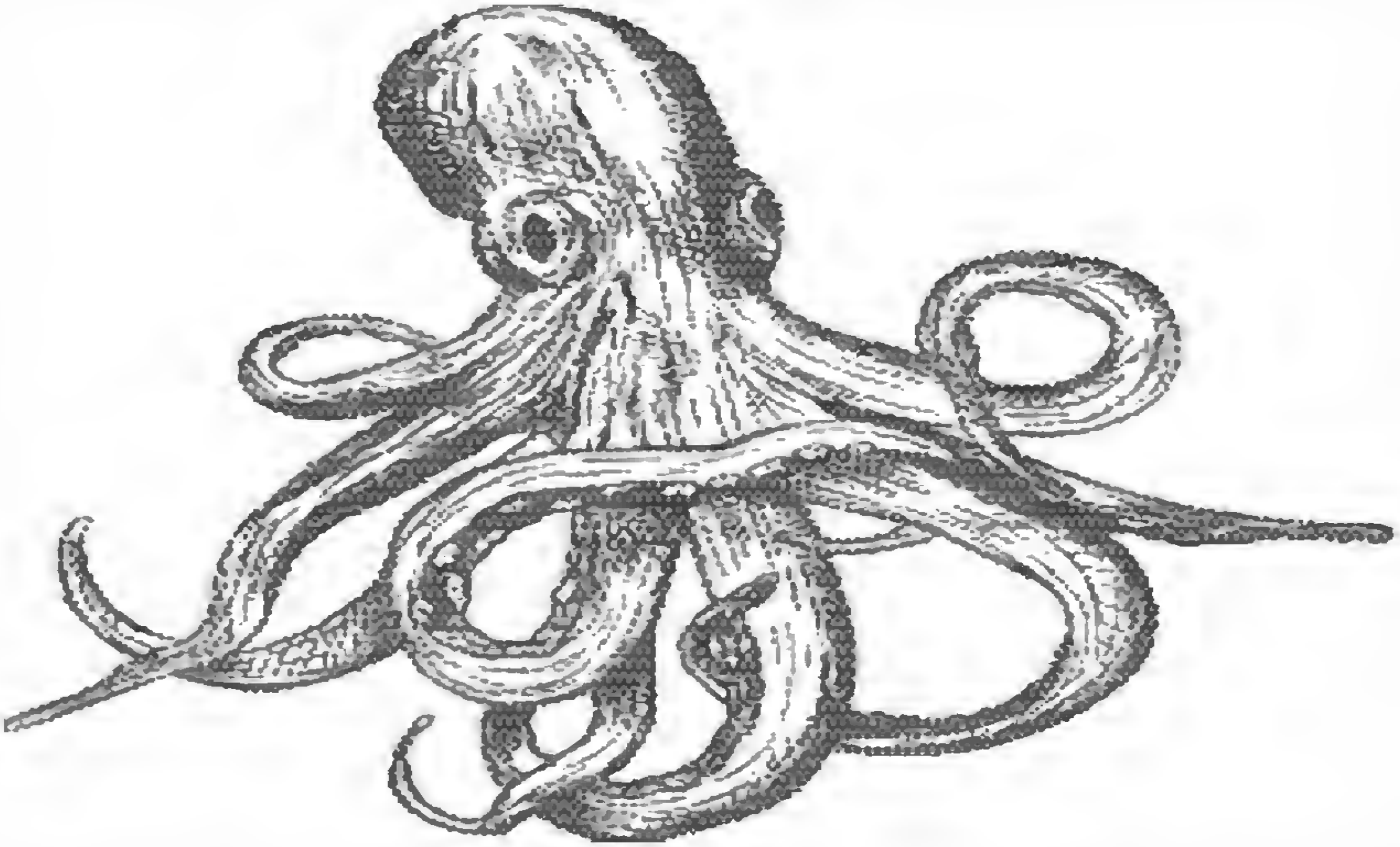

المسائل القديمة التي جعلت عمي مهتمًّا جدًّا بموضوع حلم النحات والنقوش والنحت الغائر لهذا الحد كانت المحور الأساسي للقسم الثاني من مذكراته الطويلة. ويبدو لي أن البروفيسور أنجيل - من قبل أن يبدأ في كتابة مذكراته - كان قد رأى المعالم الجحيمة لتلك البشاعة التي لا اسم لها، مما أثار حيرته حول فك رموز النقوش الهيروغليفية الغامضة، كما أنه سمع الأصوات المشئومة التي تبدو مثل كلمة «كثولو». ولذلك ليس من المستغرب أن كل هذا الأمور البشعة المثيرة للحيرة

المتعلقة بهذا المسخ هي التي جعلت عمي يلاحق ويلكوكس بالاستفسارات والطلبات للحصول على معلومات أكثر.

حدثت تلك التجربة المبكرة عام ١٩٠٨، أي قبل سبعة عشر عامًا، عندما عقدت الجمعية الأمريكية للآثار اجتماعها السنوي في سانت لويس. هذه اللقاءات فرصة يقصدها كل من لديه أسئلة يريد إجابات عنها، وكان دور البروفيسور أنجيل بارزًا في جميع النقاشات بما يتناسب مع سلطاته وخبراته؛ مما جعله من أوائل الأشخاص الذين يتم الاتصال بهم من الغرباء للاستفادة من دعوتهم إلى الاجتماع لطرح الأسئلة والمشكلات والحصول على الإجابات الصحيحة وحلول الخبراء.

رئيس هؤلاء الغرباء، والذي حظي في وقت قصير باهتمام جميع الحضور طوال فترة الاجتماع، كان رجلًا عادي المظهر في منتصف العمر؛ جاء من نيو إنجلاند إلى مقر الاجتماع طلبًا لمعلومات سرية للغاية ما كان ليحصل عليها من أي مصدر آخر. يعمل هذا الرجل، الذي يدعى جون ريمون ليجراس، مفتشًا شرطة. كان يحمل معه أثناء زيارته تمثالًا حجريًّا قديمًا جدًّا ومثيرًا للاشمئزاز، لكن من الواضح أنه قد وقع في حيرة بسبب عجزه عن تحديد

مصدره. وعليك ألا تتوهم أن المفتش ليجراس لديه اهتمام ولو قليلًا في علم الآثار.

بالعكس، كان اهتمامه ورغبته في التعرف على مصدر هذا التمثال يعود إلى اعتبارات مهنية بحتة، فقد عثروا على هذا التمثال الصغير أو الوثن أو التعويذة أو أيًّا ما كان، قبل بضعة أشهر في المستنقعات المشجَّرة الموجودة في جنوب ولاية نيو أورليانز خلال غارة قاموا بها على حفل لسحرة الفودو(8) لممارسة السحر الأسود. وهكذا كان ذلك التمثال مرتبطًا بالطقوس الوحشية المخيفة لدرجة أن الشرطة أدركت أنها عثرت على ديانة مجهولة تمامًا لهم تمارس السحر الأسود، وأن تلك الممارسات قد تكون أكثر شيطانية من أكثر جماعات الفودو الإفريقية سوادًا وشرًّا. لم يتمكن أحد من استنتاج أي شيء على الإطلاق عن أصل هذه الطقوس، سواء من الحكايات الغريبة والمضللة وغير المعقولة التي أدلى بها بالإكراه أفراد الشرطة المأسورون؛ ومن هنا شكَّل هذا التمثال مصدر قلق للشرطة، لهذا قدر رجال الشرطة أن التمثال قد يقودهم لمعرفة تاريخ هذه الممارسات الشنيعة المتعلقة به، وتحديد مكان هذا الوثن المروّع، وتتبُّع تلك الممارسات وصولاً إلى منبع رأسها.

لم يتوقع المفتش ليجراس رد فعل العلماء عندما كشف عن التمثال. فمجرد أن رأوا هذا الشيء أثار قلقهم وقذف الرعب في قلوبهم، والتفوا حوله للتحديق فيه.. قدمه وغرابة أسلوب النحت كفيلة باستعادة روح العصور القديمة السحيقة والإشارة بقوة إلى آفاق مهجورة لم يتم اكتشافها بعد. هذا الشيء الرهيب لا ينتمي إلى أية مدرسة نحت مشهورة، إلا أن القرون وآلاف السنين قد بدت محفورة على سطحه الحجري الأخضر الباهت.

اقترب أحد الحضور للنظر إلى التمثال عن قرب، وقام ليجراس بتمريره ببطء من رجل إلى آخر ليقوموا بفحصه ودراسته دراسة متقنة ودقيقة، كان ارتفاعه ما بين سبع وثماني بوصات، صُنع بحرفية ومهارة فنية رائعة؛ حيث يمثل وحشًا له ملامح غامضة شبيهة بالإنسان، ولكن رأسه يشبه الأخطبوط، وله وجه تبرز به كتل من اللوامس والممسات، وجلده زلق يكسوه الحراشف، ومخالب ضخمة على أقدامه الخلفية والأمامية، وله أجنحة طويلة وصغيرة على ظهره. هذا الشيء يبدو أن لديه غريزة الشر المخيف وغير طبيعي، ولديه جسم مكتنز وشديد الضخامة إلى درجة الانتفاخ، يجلس على قاعدة صخرية مستطيلة عليها كتابات منقوشة لا يمكن فهمها. وقد لمست أطراف الأجنحة الحافة الخلفية للقاعدة،

واحتل الجسم المركز بأكمله، في حين استحوذت المخالب الطويلة المنحنية بالساقين الخلفيتين المتعرجتين على الحافة الأمامية، وامتدت ربع المسافة نزولًا نحو أسفل القاعدة. أما بالنسبة للرأس المليء باللوامس والممسات، فقد كان مائلًا إلى الأمام بدرجة ميل جعلت أطراف الممسات تلمس ظهر مخالبه الأمامية الضخمة التي شُبِّكت في الركبتين المرفوعتين.

أما أكثر ما يثير الرعب، فهو أنه قد يُهيأ لك أن هذا الكائن المرعب حقيقي جدًّا ينبض بالحياة بسبب تفاصيله الدقيقة وغير الطبيعية، وما يزيده رعبًا هو أنه لا يمكن معرفة مصدره. ولا غبار على أن عمره لا يعد ولا يحصى ولا يمكن قياسه. ومع ذلك، لم تظهر عليه أيه صلة واحدة تربطه بأي نوع معروف من الفنون التي تنتمي إلى حضارة ما - أو عصر ما. يبدو أنه صنع ليكون فريدًا من نوعه ومنفصلًا تمامًا عن أي زمن. وبصرف النظر عن كل هذا، تبدو المادة التي صنع منها غاية في الغموض؛ فالحجر المصنوع منه التمثال لونه أسود مائل إلى الخَضَار وزلق مثل الصابون تشوبه بقع أو خطوط ذهبية أو قزحية الألوان لا تشبه أي شيء مألوف في علم الجيولوجيا أو علم المعادن، كما أن الرموز المنقوشة على طول القاعدة كانت محيرة على حدٍّ سواء.

حروف الكتابات كانت غريبة جدًّا، فلم يستطع أي واحد من هؤلاء الخبراء الحاضرين في الاجتماع تحديد شيء عن مصدرها، حتى أنهم لم يتمكنوا من أن ينسبوا هذه النقوش إلى لغة ما سواء من قريب أو بعيد، على الرغم من أن نصف الحضور كانوا خبراء من جميع أنحاء العالم في هذا المجال. فالنقوش، مثلها مثل الكائن والحجر، تنتمي إلى شيء سحيق بشكل مروع وغريب تمامًا على الجنس البشري كما نعرفه. شيء يذكِّرنا بشكل مروع بدورات الحياة العتيقة والدَنِسة التي لم نكن فيها ولا علاقة لها بعالمنا ومفاهيمنا.

ومع ذلك، بعدما أومأ الأعضاء رءوسهم اعترافًا بالفشل في إيجاد حل لمشكلة المفتش، فقط كان هناك رجل واحد من بين الحضور تذكَّر شيئًا مماثلًا؛ هو البروفيسور المرحوم ويليام تشانينج ويب؛ أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة برينستون، ومستكشف غير مشهور، حيث شك في وجود صلة بعيدة وألفة غريبة مع شكل الوحش والكتابات المنقوشة على التمثال، والذي قال ما يعرفه على استحياء باعتباره أساطير تافهة وغريبة لا أساس لها من الصحة.

كان البروفيسور ويب قد شارك في رحلة استكشافية منذ ثمانية وأربعين عامًا في جرينلاند

وأيسلندا بحثًا عن بعض الآثار الرونية التي أخفق في اكتشافها. وفي أثناء رحلته على ساحل جرينلاند الغربي قابل قبيلة من شعب الإسكيمو(9) المضمحل الذي يعتنق ديانة غريبة تقوم على عبادة الشيطان وممارسة بعض الطقوس والعبادات الوحشية، ألقوا الرعب في قلبه لدموية وبشاعة معتقداتهم. لم يعرف شعب الإسكيمو عن هذه الديانة إلا القليل، كانوا يؤمنون أن هذه الديانة جاءت من عصور سحيقة مروعة قبل وجود عالمنا. وكلما أشاروا إليها ارتعشت أجسادهم. فإلى جانب الطقوس غير المعروفة والتضحيات البشرية كان هناك كلام عن بعض طقوس وحشية لعبادة الشيطان الأعظم «تورناسوك»(10)؛ ومن هناك قام البروفيسور ويب بتسجيل صوتي كامل عنه بصوت ساحر معالج عجوز معروف بـ «أنجيكوك»(11)، وهو ينطق الحروف الرومانية بأفضل طريقة يعرفها.

لكنه تذكر الآن شيئًا بالغ الأهمية عن هذا التمثال؛ كانت هذه القبيلة تملك فتيشًا خاصًّا بها؛ حيث كانت ترقص حوله عندما يبزغ الشفق القطبي فوق المنحدرات الجليدية. لقد كان، كما ذكر البروفيسور، نحتًا غائرًا مصنوعًا من الحجر الخام، يشتمل على صورة بشعة مروعة وبعض النقوش

الغامضة والسرية. وبقدر ما استطاع أن يتذكر، هذا الفتيش البشع كان يشبه تمامًا التمثال الذي يرقد الآن أمام الحضور في الاجتماع.

تلك المعلومات، التي تلقاها الأعضاء المجتمعون بالشك والدهشة، أثارت شغف المفتش ليجراس بشكل مضاعف؛ حيث بدأ على الفور يتعدى صلاحياته وأمطر البروفيسور بأسئلة عن الطقوس التي شهدها في الإسكيمو.

طلب من البروفيسور أن يتذكر ويدلي بكل ما يعرفه عن الطقوس الشفهية التي نطقها عبدة الشيطان في قبيلة الإسكيمو، ثم قارنها بما سجَّله من طقوس الفودو التي شهدها بين العبدة بالمستنقعات في لويزيانا التي اعتقل فيها رجاله، وخيمت لحظة من الصمت المرعب عندما لاحظ المحقق والعالم التشابه الظاهري بين الطقسين الجهنميين اللذين تفصل بينهما عوالم سحيقة المسافات.

من حيث الجوهر، هناك جملة واحدة تتردد بشكل واضح بين كلٍّ من سحرة الإسكيمو وكهنة المستنقعات في لويزيانا خلال عبادتهم لأصنامهم وأوثانهم المشهورة وهي: «فنجلوي مجلو نافه كثولو روليا وجوهناجل فهتاجن»(12)، تم تخمين

تقسيمات الكلمات من الفواصل التقليدية في الجملة أثناء ترديدها بصوت عالٍ.

وكان المفتش ليجراس لديه معلومة واحدة لا يعلمها البروفيسور ويب؛ لأنه سأل هؤلاء الهجينين الذين اعتقلهم عن معنى هذه الكلمات فرددوا له تفسير أجدادهم الكهنة أن معنى الجملة المقصودة: «في بيته في روليا ينتظر كثولو الميت ويحلم».

والآن، استجابةً لمطالب جميع الحضور العاجلة، ربط المفتش ليجراس بأكبر قدر ممكن بين ما قاله بروفيسور ويب، وتجربته مع عبدة الشيطان بالمستنقعات. أخبر قصة أدركتُ بعد سماعها أن عمي قد اكتشف المغزى العميق منها.

لقد حملت طعمًا لأحلام تفوق خيال صانع الأساطير الثيوصوفي، وكشفت عن مستوى مذهل من الخيال الكوني بين هذه الطوائف الهجينية المنغلقة والمنبوذة؛ لأنه قد يكون غير متوقع أن تمتلك تلك الطوائف مثل هذا الخيال.

ومع أول أيام نوفمبر عام ١٩٠٧، جاء بلاغ جنوني إلى شرطة ولاية نيو أورلينز من سكان الجنوب حيث منطقة المستنقعات والبحيرة؛ إن السكان العشوائيين هناك من أحفاد رجال لافيتي البدائيين وهم طيبون ودمثو الأخلاق، لكنهم بدائيون نوعًا ما

يعانون خوفًا شديدًا من شيء غير معروف تسلل إليهم وينقض عليهم ليلاً.

كان شبيهًا بسحر الفودو، على ما يبدو، ولكن أكثر إرعابًا من أي نوع سحر عرفوه في أي وقت مضى. لقد بدأت نساؤهم وأطفالهم في الاختفاء منذ أن انطلقت دقات طبول التوم توم الشريرة التي تدوي بشكل مستمر من وراء الغابة السوداء المسكونة التي لم يجرؤ أي أحد على دخولها. وسمع السكان هناك صيحات مجنونة وصرخات مروعة، وهلعوا جراء رؤية ألسنة نار شيطانية، وتطرقت إلى مسامعهم تمتمات تقشعر لها الأبدان.. «السكان لا يستطيعون تحمل هذا العذاب بعد الآن»، قال أحد السكان الذي بلغ الرسالة للشرطة وهو ينتفض رعبًا.

هكذا، انطلق عشرون رجلًا من الشرطة في سيارتين، في وقت متأخر بعد الظهر بصحبة أحد السكان المذعورين كدليل لهم. وراحت السيارتان تشقان طريقهما عبر الأحراش، ثم ترجلوا من السيارات ليقطعوا أميالًا سيرًا على الأقدام؛ حيث خيّم على رءوسهم صمت دامس وهم يعبرون غابات السرو الموحشة التي لم تر يومًا ضوء النهار. فتحيط بهم الجذور الدَمِيمة والأَشْرَاك المعلقة

المهلكة المصنوعة من الطحالب الإسبانية، ومن حين إلى آخر يجدون منخفضًا محاطًا بكومة من الحجارة الرطبة أو شظايا من جدران متعفّنة تلمح إلى وجود مساكن مروعة مبنية من تكتلات من الأشجار العفنة والتجمعات الفطرية. وفي الأفق، ظهرت مجموعة من الأكواخ الفقيرة والبائسة، وفي النهاية، وصلوا إلى مستعمرة السكان العشوائيين فهرع السكان بشكل هستيري خارج الأكواخ يستقبلوهم حاملين المصابيح المتأرجحة والذعر في عيونهم؛ لأن صوت دقات طبول التوم توم الخافتة كان يدوي من بعيد، على بعد مئات الأمتار.. ومن حين إلى آخر تدوي صرخة مفزعة كلما تحول اتجاه الرياح تجمَّد الدم في العروق. وظهر وهج مائل إلى الحمرة، أيضًا، لينقشع من خلال الشجيرات الصغيرة الشاحبة وراء الطرق التي لا نهاية لها في الغابة المظلمة الضبابية.

رفض جميع السكان العشوائيين أن يتركهم الشرطة وحدهم مرة أخرى، ورفض الأهالي جميعًا رفضًا باتًّا أن يتقدموا خطوة واحدة نحو مكان تلك الطقوس الدنسة، هكذا اضطر المفتش ليجراس ورجاله التسعة عشر إلى أن يذهبوا وحدهم نحو مصدر الضوضاء ويلقوا بأنفسهم بدون دليل لهم في أروقة الرعب الأسود التي لم يسبق إليهم قط أن يمشوا

فيها من قبل.

كانت المنطقة التي دخلها رجال الشرطة منطقة محرمة على الرجال البيض، تسود فيها أساطير عن بحيرة خفية لا تراها عين البشر، يسكن فيها كائن أبيض عملاق غير محدد الشكل ومغطًّى بالزوائد اللحمية، له عينان لامعتان.

وقد همس السكان العشوائيون أن الشياطين المجنحة التي تبدو كالوطاويط تخرج من الكهوف في جوف الأرض كي تعبد هذا الكائن في منتصف الليل. كما قالوا إنه كان هناك قبل «دي إبرفيل» (13)، وقبل «لا سال»(14)، وقبل الهنود، وقبل حتى أن توجد الوحوش والطيور بالغابات. كان كابوسًا مروعًا في حد ذاته، وكان معنى أن تراه أنك حتمًا ستموت، فالموت ينتشر رائحته في كل مكان.

لكنه يُرغم الناس على الحلم، وهكذا كانوا يعرفون ما يكفي للابتعاد.

في الواقع، تقع طقوس الفودو العربيدة الحالية على أقصى حدود هذه المنطقة البغيضة، لكن هذا الموقع كان سيئًا بما يكفي. لذا ربما كان مكان الطقوس نفسه هو الذي أرعب السكان أكثر من الأصوات والحوادث المروعة، فألقى الفزع في دواخلهم وقذفه في قلوبهم.

لا يقدر على فهم ووصف الأصوات التي سمعها رجال ليجراس - وهم يشقون طريقهم عبر المستنقعات السوداء نحو الوهج الأحمر ودقات الطبول الهندية الخافتة – سوى الشعر أو الجنون، فهناك أصوات تدل على وجود بشر، وأخرى تدل على وجود الوحوش. ومن المروع أنهم لم يتمكنوا من التمييز بين تلك الأصوات. فالحيوانات تعبر عن غضبها من ممارسة طقوس العربدة هناك عن طريق جلد أنفسهم وصعود مرتفعات شيطانية وإطلاق صيحات شنيعة شقت أصداءها تلك الغابات المظلمة، مثل العواصف المدمرة الآتية من خلجان الجحيم. وبين حين وآخر، توقف العويل الأقل وتيرة، بسبب ارتفاع أصوات تشبه أصوات الكورس الأجشّة تغني أغنية فيها الكلمات المروعة: «فنجلوي مجلو نافه كثولو روليا وجوهناجل فهتاجن».

هنا وجد الرجال أنفسهم فجأة في البقعة التي جاء منها الصوت وعلى مرأى من المشهد نفسه؛ حيث كانت الأشجار أقل كثافة. فر واحد منهم، وأحدهم فقد وعيه، وصرخ اثنان من هول ما رأيا، مما أدى - لحسن الحظ - إلى إخماد أصوات النشاز المجنونة لطقوس العربدة.

قام ليجراس برش الماء على وجه الرجل الذي فقد وعيه، ثم وقفوا جميعهم مرتجفين من هول المنظر، وكأنه نوَّمهم مغناطيسيًّا، وسيطر على عقولهم.

وسط الأشجار، كانت جزيرة معشبة بالقرب من المستنقع ربما على مدى فدان، خالية من الأشجار وجافة تمامًا. ووسط تلك الجزيرة حشدٌ من القوم العراة تمامًا والمشوهين. وأفراد تلك الفصيلة المهجنة كانوا يقفزون ويرقصون ويطلقون أصوات النهيق والجعجعة ويتلوون حول حلقة من نيران مشتعلة في العراء بشكل يفوق وصف أي إنسان سوى في لوحات سايم (15) أو أنجورا(16).

في وسط تلك الحلقة، كشفت الأخاديد المتفرقة في ستارة اللهب عن نصب صخري ضخم يصل ارتفاعه إلى ثمانية أقدام على قمته، ذلك التمثال الكريه المنحوت وغير المتناسق في ضآلته. وحول هذا التمثال كانت عشر سقالات - حيث وُضِع النصب المحاط بحزام النيران كمركز لها - عُلِّق عليها عشرة من السكان الأصليين البائسين الذين قد اختفوا على مدار فترات، وقد تشوهت أجسادهم ورءوسهم لأسفل. وداخل هذه الدائرة، كان العبدة يدورون في حلقات وهم يقفزون ويزمجرون، وكان الاتجاه العام لطقوس العربدة واللهو الصاخب اللامتناهي التي

تمارسها تلك القبيلة من اليسار إلى اليمين بين حلقة الأجساد وحلقة النار.

ربما كان الوهم أو مجرد أصداء صوت هو الشيء الذي أوحى لأحد رجال الشرطة، وهو إسباني سريع الانفعال، أن هناك من يرد على غناء تلك القبيلة وسط الأحراش العتيقة والمظلمة والمميتة.

التقيت بهذا الرجل، الذي يدعى جوزيف د. جالفيز، لاحقًا واستجوبته. وأثبت لي حقًّا أنه مبدع للغاية. وبالفعل، لقد وصف أشياء أبعد من ذلك حينما ألمح إلى صوت خافت لحفيف أجنحة ضخمة، ولمحة من عينين لامعتين وجسم أبيض جبلي الشكل يقبع وراء الأشجار البعيدة، لكنني أعتقد أنه كان يسمع كثيرًا من الخرافات الشعبية المحلية.

في الواقع، لم يدم وقت استراحة الرجال المرعبة سوى لبرهة من الوقت؛ حيث تصلبوا للحظات ثم جاء الواجب. وعلى الرغم من أنه كان هناك ما يقرب من مائة كاهن مُهجَّن في الاحتفال، فإن رجال الشرطة أخرجوا أسلحتهم النارية لتفرقتهم وصمموا على اقتحام تلك الحشود المثيرة للغثيان. ولمدة خمس دقائق متواصلة وفي مشهد مروع، كانت الفوضى عصية على الوصف، من هول الضجيج وانهمار الضربات الوحشية، وأُطلقت طلقات نيران

عشوائية، فر كثيرون فزعين؛ لكن في النهاية استطاع ليجراس أن يعد سبعة وأربعين أسيرًا متجهمي الوجه وأجبرهم على ارتداء ملابسهم على عجل، والمشي وسط صفّين من رجال الشرطة. وفي ظل تلك المعركة الضارية، لقي خمسة من المتعبدين حتفهم، ونقل الأسرى اثنين من المصابين بجروح خطيرة على نقالات مرتجلة. وانتزع ليجراس التمثال المعلق على النصب وحمله معه بعناية.

وبعد فحصهم في مقر الشرطة بعد رحلة طويلة يتخللها أشد أنواع التوتر النفسي والإجهاد الجسدي، ثبت أن الأسرى كان أكثرهم رجالًا زنوجًا أو مهجنين؛ يعانون من اضطراب عقلي وانحراف سلوكي. وبعضهم كانوا بحارة لاتينيين من الهنود الغربيين أو برتغاليين من جزيرة برافا التي تقع في جزر كيب فيردي، مما أضاف صبغة طقوس الفودو لتلك العبادة متباينة الأجناس.

ولكن قبل طرح العديد من الأسئلة، يبدو من الواضح أن شيئًا أعمق وأعرق من تلك العبادات كان وراء هوس هؤلاء الزنوج الذين بدا عليهم الانحلال والجهل؛ حيث تمسكت تلك المخلوقات - عن اقتناع شديد وبثبات مذهل - بفكرة رئيسية مفادها أن هذه الطقوس المقززة نابعة من إيمانهم.

فكان ردهم أنهم يعبدون الكيانات القديمة العظيمة المعروفة بالآحاد القدامى الذين عاشوا في عصور بعيدة ووجدوا قبل أن نوجد نحن، وجاءوا إلى العالم الحديث من السماء.

هذه الكيانات القديمة العظمى قد غابت عن عالمنا الآن، لتعيش في جوف الأرض وتحت البحر؛ لكن جثثها لم تمت أبدًا، فهي قادرة على نقل أسرارها عبر الأحلام إلى أتباعها الرجال الأوائل الذين ابتدعوا عبادة. كانت تلك هي العبادة التي مارسها الأسرى الذين قالوا إنها موجودة منذ الأذل وستظل كذلك، مخبأة في النفايات البعيدة والأماكن المظلمة في جميع أنحاء العالم إلى أن ينهض الكاهن الأعظم كثولو من سباته بمنزله المظلم في أعماق البحار وسط أطلال مدينة «روليا» الجبارة الغارقة، ليحكم الأرض ثانية. في يوم ما سينادي، عندما تكون النجوم جاهزة في مواقعها الصحيحة، وستظل تمارس الطائفة السرية عباداتها على أمل وفي انتظار تحريره.

هنا صمت الرجال.. فهناك سر لا يستطيع حتى التعذيب أن ينتزعه منهم. لم تكن البشرية هي الكائنات الواعية الوحيدة الموجودة على وجه الأرض؛ لأن هناك كائنات أخرى تخرج من الظلام

لزيارة بعض التابعين لها. لكن هذه الكائنات لم تكن الكيانات القديمة العظمى. لا أحد رأى الآحاد القدامى على وجه الأرض قط.

التمثال المنحوت يجسد الكاهن الأعظم كثولو، ولكن من الصعب أن تعرف إن كان يشبهه تمامًا في الحقيقة أم لا. فلا أحد يستطيع قراءة الكتابات القديمة إلى الآن، لم تكن الطقوس المتوارثة هي السر- بل طريقة ممارستها؛ فهم لم يتغنوا بالترانيم بصوت عالٍ، بل بالهمس فقط. لكن الأغنية التي تناقلها العبدة بالسماع وانتشرت شفهيًّا ليرتلونها أثناء العبادة تقول: «في بيته في روليا ينتظر كثولو الميت ويحلم...».

لم يجدوا بين المساجين سوى اثنين عاقلين بما يسمح بشنقهما، أما الباقون فقد تم إدخالهم إلى مستشفيات الأمراض العقلية. جميعهم أنكروا جزءًا من جرائم القتل الطقسية، وأجمعوا على أن تلك الجرائم قد اقترفها «ذوو الأجنحة السوداء» الذين جاءوا إليهم من الغابة المسكونة. لكن حتى بعد استجواب المسجونين الغامضين، لم تتمكن الشرطة من الحصول على حكاية واحدة مفهومة ومترابطة الأحداث.

المعلومات الوحيدة ذات القيمة التي نجحت

الشرطة في أن تتوصل إليها كانت من اعترافات رجل مسن نصف هندي نصف أوروبي من الشعوب الأصلية الهجينة يدعى كاسترو، قال إنه قد أبحر إلى موانئ غريبة، وتحدث عن هذه الديانة مع كهنة خالدين تابعين للطائفة في جبال الصين.

تذكر كاسترو العجوز أجزاء من الأسطورة البشعة التي أبهتت تكهنات الثيوصوفيين، وجعلت الإنسان والعالم يبدوان حديثين وزائلَين حقًّا. حكى عن حقب حكمت فيها تلك الكيانات الأرض، كانت تعيش في مدن عظمى. أخبر الكاهن الصيني كاسترو أنهم لا يزالون يعثرون على بقايا تلك المدن مثل الحجارة السيكلوبية موجودة في بعض جزر المحيط الهادئ. هم ماتوا جميعًا منذ عصور سحيقة قبل أن يأتي البشر، لكن توجد فنون يمكنها أن تحييهم عندما تدور النجوم مرة أخرى لتتخذ مواضعها المناسبة في دورة الأبدية.

«في الحقيقة، هذه الكيانات جاءت في الأصل من النجوم، ثم هبطت إلى الأرض وجلبت معها صورتها».

واستطرد كاسترو قائلاً: إن هذه الكيانات القديمة العظمى ليست من لحم ودم.. لها أشكال معينة لكنهم غير مكونين من مادة محددة - ألم يثبت هذا

التمثال المصنوع من النجوم ذلك؟ - عندما تكون النجوم في مواضعها المناسبة، يمكن أن تنتقل من العالم إلى آخر من خلال السماء. بيد أنه عندما أصبحت النجوم في مواضعها غير المناسبة، لم تتمكن تلك الكيانات من العيش.

لكن على الرغم من أنها لم تعد على قيد الحياة، فهي لن تمت قط. كلها تنتظر في بيوت حجرية في مدينتهم العظمى «روليا» بانتظار التعاويذ السحرية التي سيلقيها كاهنهم الأعظم يوم البعث المجيد عندما تكون مواضع النجوم والأرض مناسبة مرة أخرى. ولكن في ذلك الحين، يجب أن تعمل بعض القوى الخارجية على تحرير أجسادها، فالتعاويذ السحرية التي حافظت على سلامتها قد منعتها في الوقت نفسه من اتخاذ الخطوة الأولى، هم ينتظرون في الظلام ويحلمون بينما تمر ملايين السنين التي لا تعد ولا تحصى، لكنهم يعرفون كل ما يجري حولهم ويدور في الكون؛ لأن طريقة تواصلهم وتفاهمهم هي الأفكار المنقولة. فهم الآن يتحدثون في مقابرهم. عندما جاء الرجال الأوائل إلى الأرض بعد حدوث فوضى لا نهائية، تحدثت الآحاد القدامى إلى الرجال شديدي الحساسية نحو الخوارق من خلال قولبة أحلامهم والسيطرة عليها، فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي تصل عبرها لغتها إلى عقول

الثدييات الحسية.

ثم همس كاسترو أن هؤلاء الرجال الأوائل ابتدعوا العبادة حول الأصنام الشاهقة التي أظهرتها لهم الكيانات القديمة العظيمة؛ أصنام جُلبت في عصور مظلمة من نجوم معتمة. تلك العبادة لن تموت أبدًا إلى أن تعود النجوم مرة أخرى إلى مواضعها، وسينقل الكهنة في السر الكاهن الأعظم كثولو من قبره لإحياء رعاياه كي يستأنف حكمه على الأرض. وسوف ينتظرون الوقت المناسب قبل أن ينهضوا..

هذا الوقت المناسب تسهل معرفته لأن البشر سيكونون وقتها مثل الآحاد القدامى.. أحرارًا جامحين ووحشيين لا يبالون بالخير أو الشر. ولسوف ينحون القوانين جانبًا ويتجردون من المشاعر ويتخلصون الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض. عندئذ، ستعلمهم الآحاد القدامى المزيد من الوسائل المتعة والصراخ والقتل والعربدة واللهو الصاخب، حتى تشتعل الأرض بأكملها وتصير محرقة من الفسق والجنون. وفي هذه الأثناء، وبممارسة الطقوس المناسبة، يجب أن تحيي العبادة ذكرى تلك الطرق القديمة وتنذر بعودتهم إلى الأرض.

في العصور السحيقة، كان الرجال المختارون

يتحدثون في الأحلام مع الآحاد القدامى المدفونين في القبور، ولكن حدث شيء ما. غرقت المدينة الحجرية العظيمة روليا، بجميع مسلاتها وقبورها، تحت الأمواج. وقُطع التواصل الطيفي بسبب المياه العميقة، المليئة باللغز البدائي الوحيد؛ حيث لا يمكن أن تمر خلالها الأفكار بينهم وبين العقول البشرية. لكن الذاكرة لم تمت قط، وقال كبار الكهنة إن المدينة سوف ترتفع مرة أخرى من الأعماق عندما تصبح النجوم في مواقعها الصحيحة.

ثم خرجت من الأرض أرواح الأرض السوداء، الفاسدة والمتعفنة والغامضة، والممتلئة بالشائعات المعتمة التي التقطتها في الكهوف تحت قيعان البحر المنسية. لكن لم يجرؤ كاسترو العجوز على الحكي عنهما كثيرًا. فقطع حديثه على عجل، وفشلت كل سبل الإقناع أو الحذاقة أن تستثير كلامًا أكثر عن هذا الموضوع. كما امتنع عن ذكر حجم الآحاد القدامى. وعن الديانة، قال إن مركزها يقع وسط صحراء الجزيرة العربية التي لا سبيل للوصول إليها؛ حيث توجد في إرم ذات الأعمدة(17) أحلام مخفية وغير ملموسة. تلك العبادة لم تكن موالية لعبادة السحر الأوروبية، وكانت غير معروفة تمامًا

خارج أعضاء هذه الجماعة. لم يرد ذكر لها في أي كتاب، إلا أن الكهنة الصينيين الخالدين قالوا له إن هناك معاني مزدوجةً في كتاب العزيف(18) للعالم العربي المجنون عبد الله الحظرد، والذي قد يقرؤه ممارسو الطقوس الوحشية كما يشاءون، لاسيما المقطع الشعري التالي الذي خضع لمناقشات كثيرة: «هذا الكائن ليس بميت يمكنه الكذب إلى الأبد، ومع الدهور الغريبة حتى الموت قد يموت ويفنى».

ومن شدة إعجابه ببيت الشعر وعدم ارتباكه من ازدواجية معناه، أخذ ليجراس يسأل عن الانتماءات التاريخية لتلك لعبادة بلا جدوى. فكاسترو، على ما يبدو، كان يقول الحقيقة عندما أشار إلى أنها عبادة سرية للغاية. ولم تتمكن السلطات في جامعة تولين من إلقاء الضوء على أي من الطائفتين أو التمثال، والآن فقد التقى المحقق بأعلى السلطات في البلاد، لكن لم يتوصل إلى شيء أكثر من قصة جرينلاند التي حكاها البروفيسور ويب.

وفي خلال الاجتماع، أثارت حكاية ليجراس اهتمامًا غير طبيعي، مثلما حدث تمامًا حينما كشف عن التمثال، مما انعكس على المراسلات التالية لأولئك الذين حضروا الاجتماع، على الرغم من أنها

لم تُذكر إلا قليلًا في المنشورات الرسمية للجمعية. فالحذر هو أول ما يهتم به أولئك الذين اعتادوا على مواجهة السحر والشعوذة والدجل. أعار ليجراس التمثال لبعض الوقت إلى البروفيسور ويب، ولكن عندما تُوفى البروفيسور أُعيد إليه وظل في حوزته؛ حيث رأيته منذ وقت ليس ببعيد. إنه حقًّا شيء رهيب لدرجة مخيفة، ويشبه - بوضوح - النحت الذي رآه ويلكوكس في الحلم.

لهذا، لنا أن نتخيل مدى دهشة عمي بحكاية النحات الشاب شديد الحساسية الذي يرى نفس الرؤى التي وصفها ليجراس عن العبادة، فأية أفكار قد تنشأ عند الاستماع لحكاية هذا الشاب الذي لم يحلم فقط بالتمثال والنقوش المبهمة المحفورة على التمثال الذي عثر عليه في المستنقع والنحت الغائر الشيطاني الذي اكُتشف في جرينلاند، بل سمع أيضًا في أحلامه ثلاث كلمات على الأقل من نفس التعاويذ التي نطق بها سحرة وعبدة الشيطان بالإسكيمو وكهنة المستنقعات المهجنين في لويزيانا؟ فكان من الطبيعي أن يبدأ البروفيسور أنجيل على الفور في إجراء تحقيقات في منتهى الدقة؛ وبرغم كل شيء لم أستبعد أبدًا في قرارة نفسي أن ويلكوكس سمع عن هذه الطقوس في مكان ما بطريقة غير مباشرة، ومن ثم اختلق قصة

تلك الأحلام لخلق أجواء التشويق والإثارة والغموض التي تصيب عمّي بالحيرة.

بدا لي هذا أقرب الاحتمالات للمنطق بالرغم من كون قصص الأحلام وقصاصات الجرائد التي جمعها البروفيسور براهين مؤيدة للوقائع؛ لكن العقلانية المترسخة في ذهني والمبالغة في الموضوع كله دفعتني إلى تبني أكثر الاستنتاجات منطقية من وجهه نظري.

لذلك، قرأت بعناية وصف ليجراس لقصة الطقوس وربطتها بالمذكرات الثيوصوفية والأنثروبولوجية، ثم صممت على أن أسافر إلى بروفيدنس لرؤية النحات ليأخذ نصيبه من التوبيخ الذي يستحقه لخداعه رجلًا متعلمًا ومسنًّا مثل عمّي.

كان ويلكوكس لايزال يعيش بمفرده في مبنى فلور دي لي في شارع توماس، وهو مكان يقلد بشكل قبيح طراز المباني الفيكتورية التي ترجع إلى الفن المعماري التقليدي في منطقة بريتاني في القرن السابع عشر الميلادي، والذي يزدهي بواجهته الجبسية وسط بيوت جميلة على طراز معماري استعماري فوق التل القديم. وتحت ظل أجمل برج الكنيسة التي بُنيت على الطراز المعماري الجورجي في أمريكا، وَجدتُ الشاب يعمل في غرفته، وفي

الحال سلمت - عندما رأيت القطع المتناثرة التي نحتها حوله - بأن الفتى عبقري وموهوب. وفي رأيي، أعتقد أنه سيذاع له صيت في وقت ما كأحد النحاتين الرمزيين العظماء؛ بسبب أعماله التي قد نحتها بالصلصال، ويومًا ما سينحت تماثيل من رخام تُجسِّد تلك الكوابيس والخيالات المفزعة التي يستحضرها؛ مثل تلك التي خلدها الكاتب الرمزي آرثر ماشين(19) في شعره، وجسدها الكاتب والنحات كلارك آشتون سميث(20) في أبياته الشعرية ولوحاته.

كان شابًّا أسمر وهزيلاً وشاحبًا ومظهره غير مهندم إلى حدٍّ ما. التفت إليَّ بكسل عندما طرقتُ الباب وسألني عن سبب قدومي ومهنتي دون أن ينهض. وعندما أخبرته عن نفسي وعملي، أثار اسمي اهتمامه قليلاً، لأن عمّي قد أثار فضوله ليبحث ويتحقق عن أحلامه الغريبة، ومع ذلك لم يشرح له أبدًا سبب الدراسة والأبحاث التي كان يجريها. لم يقم بتوسيع نطاق معرفته في هذا الصدد، ولكن سعى بشكل غير ملحوظ إلى إقناعه بأن يفصح عن أسراره. وبعد قليل من الكلام، لم يعد عندي شك فيه وأيقنت أنه صادق تمامًا فيما يقوله، فالطريقة التي يحكي بها عن أحلامه لا يمكن لأحد أن

يخطأها.

فقد أثرت تلك الأحلام ورواسبها اللاشعورية على أعماله النحتية بعمق، ثم عرض عليّ تمثالاً مروعًا ذا منحنيات جعلت الأفكار السوداء تدور في رأسي. فكلما تذكرت معالمه ينتفض جسدي ويقشعر من قوة الإيحاءات إلى السحر الأسود. لم يتذكر أين أو متى رأى هذا الشيء، ولكنه حاول نقشه على الصلصال أولاً وهو يشعر أن هذا النحت الغائر هو نفس الذي كان يراه في أحلامه، لكن الملامح العريضة تشكّلت بنفسها تحت يديه أثناء نحته للتمثال. كان يشبه، بلا شك، الكائن العملاق الذي أصابه بالجنون عندما ظهرت أعراض الهذيان لديه.

وسرعان ما أوضح ويلكوكس أنه لم يكن يعرف شيئًا عن الديانة الغامضة والخفية، فيما عدا ما عرفه من خلال ملاحقات عمّي الدءوبة لاستجوابه وأسئلته التي لا تنتهي. ومرة أخرى، سعيت جاهدًا للتفكير في الوسيلة التي جاءته من خلالها الانطباعات الغريبة.

تحدث عن أحلامه بطريقة شعرية حالمة غريبة؛ ووصفه جعلني أتخيل بحيوية رهيبة المدينة السيكلوبية ذات النصب العملاقة من الأحجار الخضراء اللزجة – التي قال إن تصميمها الهندسي

خطأ تمامًا؛ راح يردد النداءات شبه الجنونية اللانهائية التي كان يسمعها والتي استثارت أيضًا توقعات مرعبة بوجود كائن ما يصدرها من باطن الأرض: «كثولو فهتاجن.. كثولو فهتاجن».

هذه الكلمات شكّلت جزءًا من النداءات الموجهه إلى كثولو الأعظم في سباته والطقوس الفظيعة التي تحكي حلم كثولو الميت الذي يسهر ليلاً مترقبًا في قبوه الحجري في مدينة روليا‌ه، وشعرت بشيء حرك مشاعري بعمق رغم معتقداتي العقلانية. أنا على يقين أن ويلكوكس قد سمع عن العبادة بمحض الصدفة، وسرعان ما نسيها في خضم قراءاته وتخيلاته الغريبة. وفي وقت لاحق، وبفضل وقع إثارتها الهائلة عليه، عبَّر ويلكوكس بشكل لا واعٍ في الأحلام، وفي النحت الغائر، وفي التمثال المروع الذي رأيته آنذاك. لدرجة أني بدأت أقتنع أن تأثيره على عمّي كان بريئًا جدًّا ولم يأت بقصد.

كان الشاب من النوع الذي يتأثر بما حوله تأثيرًا طفيفًا وكان فظًّا وقليل اللياقة قليلًا، وهو ما لم أستطع أن أحبه قط، لكنني كنت على استعداد كافٍ الآن للاعتراف بعبقريته وصدقه. ثم ودعته وديًّا، وتمنيت له كل النجاح في مستقبله.

ظل موضوع تلك العبادة يأسرني ويحيرني،

وفي بعض الأحيان، تراودني رؤى عن الشهرة التي ستحققها الأبحاث التي تُجرى عن أصلها وعلاقاتها بعبادات وحضارات أخرى. وقد زرت لويزيانا، وقابلت ليجراس ومن بقى حيًّا من تلك الغارة القديمة، ورأيت التمثال المخيف، واستجوبت السجناء المهجنين الذين لا يزالون على قيد الحياة. لسوء الحظ، مات كاسترو العجوز منذ عدة سنوات. فقد أثارني من جديد ما سمعته آنذاك بشكل خَطِّي ومباشر، على الرغم من أنه لم يكن أكثر من تأكيد مفصل لما كتبه عمّي. لقد بدأت أشعر أنني في طريقي إلى اكتشاف مهم وسري.. عميق وقديم.. لديانة حقيقية، اكتشاف قد يجعلني يومًا ما من علماء الأنثربولوجيا المشهورين.

كانت وجهة نظري تجاه هذا الاكتشاف لا تزال مادية بحتة، كنت أتمنى أن تظل كذلك، لذا حذفت بعناد لا يمكن تفسيره أي تصادف حدث عند عثوري على المذكرات عن الأحلام وقصاصات الجرائد الغريبة التي جمعها البروفيسور أنجيل.

شيء واحد كنت أخشى أن أعرفه الآن، وهو أن موت عمي لم يكن طبيعيًّا. فقد قيل لي إنه سقط في أحد الشوارع من فوق منحدر يؤدي إلى ساحل قديم يعجُّ بالمهجنين الأجنبيين، بعد ما دفعه بحار

زنجي هجين غير متعمد. تذكرت كلام ليجراس عن الدم الهجين في لويزيانا ولم أنسَ القصة التي حكاها عن مطاردتهم لأتباع الطائفة ذوي الدم المختلط في لويزيانا، ولن أتفاجأ بمعرفة طقوس ومعتقدات سرية. ومع أن ليجراس ورجاله ما زالوا أحرارًا وعلى قيد الحياة؛ فإنه عُثر في النرويج على البحار الذي شهد تلك الممارسات ميتًا.

ألا يمكن أن تكون تحريات عمّي العميقة قد وقعت على آذان شريرة بعد أن تعرّف على النحات وسمع منه بعض المعلومات؟ أعتقد أن البروفيسور أنجيل مات؛ لأنه كان يعرف أكثر مما يجب، أو لأنه كان في طريقه ليعرف أكثر مما يجب.

الآن وقد عرفت أكثر مما يجب يبقى أن أحدد ما إذا كنت سأتبع نفس الطريق الذي سلكه عمّي أو لا.

الفصل الثالث

الجنون من البحر

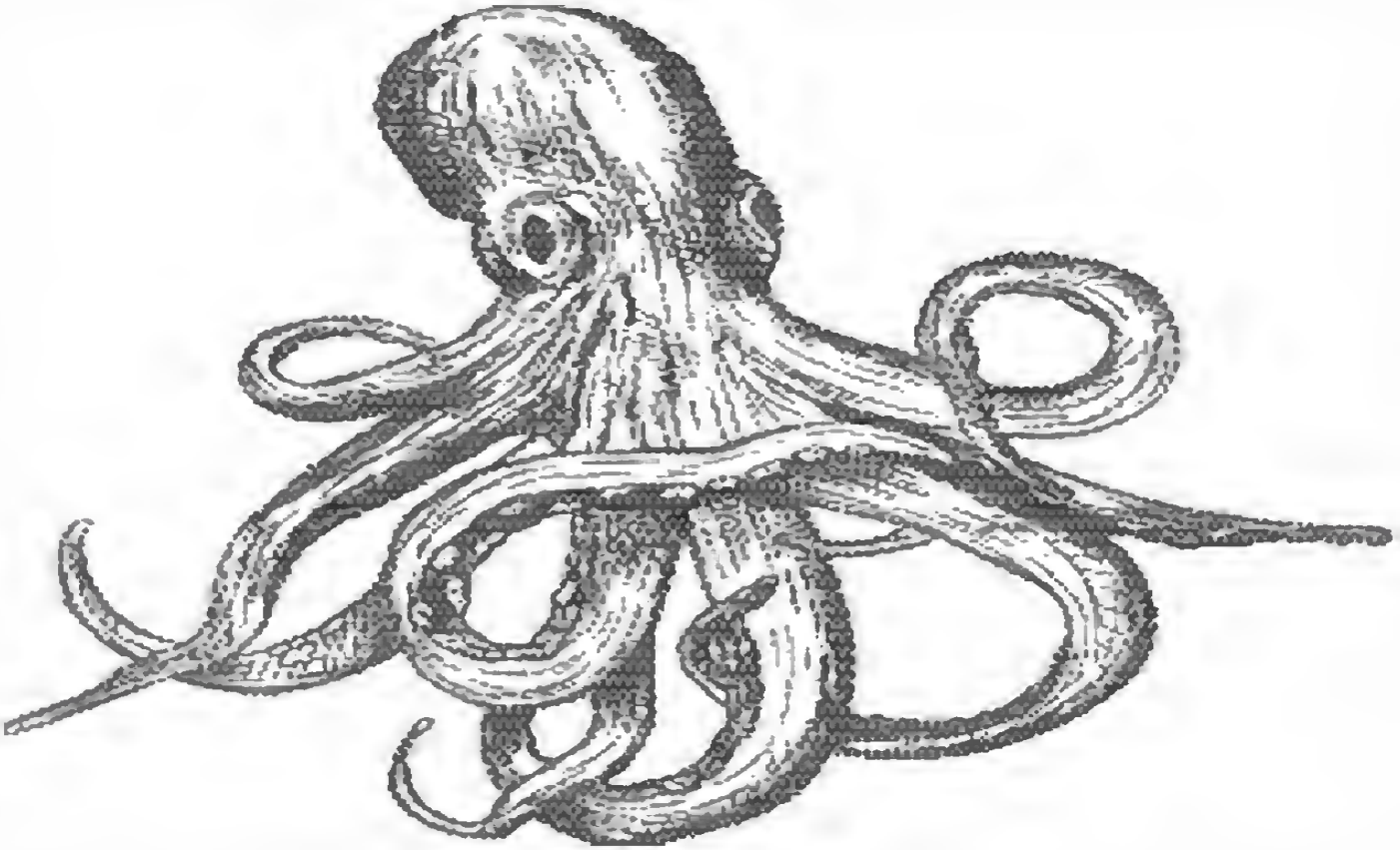

إذا تمنيت من السماء أن تمنحني نعمة، فلتكن هي نسيان الصدفة التي جعلت عينيّ تقعان على صفحة جريدة موجودة على أحد الأرفف. ما كان ذلك الأمر ليلفت نظري في العادة أثناء أنشطتي اليومية؛ لأنه كان عددًا قديمًا من جريدة أسترالية اسمها «نشرة سيدني» بتاريخ ١٨ إبريل ١٩٢٥. لقد نجا حتى من الوكالة الصحفية التي استعان بها عمّي لتجمع له أخبار الصحف؛ ليستند إليها في أبحاثه.

كنت قد توقفت عن تحقيقاتي إلى حدٍّ كبير حول

ما أسماه البروفيسور أنجيل «عبادة كثولو»، وأثناء زيارتي لأحد أصدقائي المثقفين في مدينة باترسون بولاية نيوجيرسي، وهو أمين متحف محلي وخبير بارز بعلم المعادن. كنت أتفحص يومًا العينات الموضوعة على أرفف التخزين في غرفة خلفية من المتحف، حين وقعت عيناي على صورة غريبة في إحدى الصحف القديمة وضعت تحت الحجارة. وكانت «نشرة سيدني» التي ذكرتها، لأن صديقي كان لديه انتماءات متوسعة في جميع المناطق الأجنبية التي يمكن تصورها.

وكانت الصورة المطبوعة ذات اللون النصفي تظهر نصبًا حجريًّا يبدو منظره بشعًا ومخيفًا، تقريبًا يشبه ذلك التمثال الذي وجده ليجراس في المستنقع.

رفعت الغطاء عن محتوياته الثمينة بلهفة، ثم أخرجت الجريدة بحذر وقصصت الخبر؛ وشعرت بخيبة أمل شديدة عندما وجدته قصيرًا. لكن ما أشار إليه كان ذا مغزى مهم ومشئوم لمهمتي الفاشلة. وكان يقول:

اكتشاف سفينة مهجورة في أعماق البحر

وصلت سفينة «فيجيلانت» وهي تجر يختًا نيوزيلنديًّا مدججًا بالسلاح معطلاً. العثور على ناجٍ واحد وجثة على ظهر اليخت. قصة معركة يائسة

وصراع الموت في البحر. البحَّار الناجي يرفض ذكر تفاصيل الواقعة الغريبة. وجد وثن مروع في حوزته. إجراء تحقيقات لاحقًا.

وصلت سفينة الشحن «فيجيلانت» التابعة لشركة «موريسون»، والمتجهة من مدينة فالبارايسو في تشيلي، صباح اليوم إلى رصيف ميناء دارلينج هاربور، وهي تجر اليخت البخاري «أليرت أوف دنيدن» بالحبال في نيوزيلندا، وهو يخت مسلح لكنه معطل. وفي ١٢ إبريل شوهد اليخت المهجور عند جنوب خط العرض ٢١°٣٤ وغرب خط الطول ١٧°١٥٢.

وفي ٢٥ مارس غادرت سفينة «فيجيلانت» مدينة فالبارايسو، وفي الثاني من إبريل، تم توجيه مسارها نحو الجنوب بسبب العواصف الشديدة والموجات الوحشية. وفي ١٢ إبريل، شوهد حطام السفينة. وعلى الرغم من أنها كانت تبدو مهجورة، وتبين أن على ظهره رجلاً فاقد الوعي وجثة رجل آخر يبدو أن أسبوعًا مر على وفاته.

كان الرجل الحي يحمل وثنًا حجريًّا بشع المنظر من أصل غير معروف، يبلغ ارتفاعه حوالي قدم واحد، وهذا التمثال قد أثار حيرة وذهول الجهات العلمية المعنية بالطبيعة في جامعة سيدني،

والجمعية الملكية، والمتحف في كوليدج ستريت، ويقول الناجي إنه وجده في قمرة اليخت، في ضريح صغير منحوت عليه كتابات ونقوش غير مفهومة. لما استعاد الرجل وعيه، حكى قصة غريبة جدًّا عن القراصنة والمذابح التي شهدها.

اسمه جوستاف يوهانسن، وهو نرويجي يتميز بالذكاء، وكان المساعد الثاني لربان السفينة ذات الشراعين «إيما من أوكلاند»، التي أقلعت إلى مدينة كالاو في بيرو يوم ٢٠ فبراير وعلى متنها مجموعة بحارة مكونة من أحد عشر رجلاً. وقال إن السفينة «إيما» تأخرت وتم تحويل مسارها نحو الجنوب بسبب العاصفة الكبرى التي وقعت في الأول من مارس، وفي الثاني والعشرين من مارس، عند جنوب خط العرض ٥١°٤٩'. وغرب خط الطول ١٢٨°٣٤'، ثم قابلوا اليخت البخاري «أليرت أوف دنيدن»، وطاقمًا من الكاناكاس(21) الوحشيين غريبي الأطوار وشريري الشكل وذوي الدم المختلط. وقد أصدروا لهم أمرًا قاطعًا بالتراجع، فرفض الكابتن كولينز الانصياع للأوامر.

عندئذ بدأ الطاقم الهمجي بإطلاق الرصاص بوحشية على بحارة سفينة «إيما» دون سابق إنذار بواسطة مدفعية نحاسية تطلق ذخيرة ثقيلة

تشكل جزءًا من أسلحة اليخت. فرد طاقم السفينة واشتبكوا في القتال، ولكن بحارة اليخت قاموا بتوجيهه جنبًا إلى جنب السفينة ثم نجحوا في أن يعتلوها والتي أوشكت على الغرق بفعل سيل الطلقات النارية اللانهائي تحت مستوى الماء. دارت معارك عنيفة مع الطاقم الوحشي على سطح السفينة، وكان أسلوب قتال طاقم اليخت مقيتًا وبائسًا وأحمق بعض الشيء؛ لذا اضطروا إلى قتلهم جميعًا.

وفي النهاية لقي ثلاثة من رجال سفينة «إيما» مصرعهم، بما في ذلك الربان كولينز ومساعد القبطان جرين.

لكنَّ الثمانية بحارة الباقين تمكنوا من النجاة وواصلوا طريقهم بقيادة المساعد الثاني جوهانسن؛ حيث سافروا بحرًا على متن اليخت الذي استولوا عليه بعد إصلاحه، وغيروا مساره نحو اتجاهه الأصلي لمعرفة ما إذا كان هناك أي سبب وراء تلقيهم أمرًا بالتراجع والعودة إلى بلدهم. وفي اليوم التالي، تمكنوا من الوصول إلى جزيرة صغيرة ثم هبطوا عليها، على الرغم من أنه لا توجد أي جزر معروفة في ذلك الجزء من المحيط. ثم مات ستة رجال على الشاطئ لسبب مجهول، والغريب أن

جوهانسن كان متكتمًا على هذا الجزء الغامض من قصته، ظل يتحدث فقط عن سقوطه في هوة صخرية.

يوم ٢ إبريل، فر جوهانسن ورفيقه على ظهر اليخت وحاولوا تشغيله للإبحار به، لكن الرياح غلبتهم وتقاذفتهم وغيرت مسار اليخت بفعل العواصف الشديدة، ومنذ ذلك الحين وإلى أن تم إنقاذه وإفاقته في الثاني عشر من إبريل، لا يذكر الرجل إلا القليل، ولا يذكر حتى متى مات رفيقه وليام بريدين.

لا تكشف وفاة بريدين عن وجود سبب واضح، وربما مات بسبب الانفعال أو التعرض لخطر. وأشارت تلغرافات من مدينة دنيدن بنيوزيلاندا إلى أن البحارة في تلك المنطقة يعرفون اليخت أليرت جيدًا، فهو معروف بأنه السفينة التجارية للجزيرة، لحقت به سمعة سيئة على طول الساحل بسبب طاقمه غريب الأطوار والشرير من ذوي الدم المختلط والطائفة النصفية التي تكثر الاجتماعات والرحلات الليلية إلى الغابات التي أثارت كثيرًا من الفضول. وقد أبحر اليخت بسرعة كبيرة بعد العواصف والهزات الأرضية في الأول من مارس. وبسبب تقارير مراسلنا في أوكلاند، حازت السفينة

«إيما» وطاقمها سمعة ممتازة، وأطرت الأدميرالية جوهانسن ورزانته وبراعته كثيرًا. وأعلنت أنها ستحاول إجراء تحقيقات شاملة حول ما حدث ابتداءً من الغد؛ حيث سيتم بذل أقصى الجهود لحث جوهانسن على التحدث بحرية أكبر من ذي قبل.

انتهى الخبر هنا عارضًا صورة التمثال الشيطاني. لكن ما أسرع قطار الأفكار الذي أطلقه في ذهني! هنا كانت كنوز جديدة من المعلومات حول عبادة كثولو، والأدلة على أن لديها نزعات غريبة في البحر وكذلك على الأرض.

إن التواريخ أبعد من أن تكون صدفة. كل هذه الأحداث تدور في ذات الوقت عبر العالم.. ما الدافع الذي دفع طاقم المهجنين إلى تغيير مسار السفينة «إيما» أثناء سفرهم بحرًا مع وثنها البشع؟ ما الجزيرة المجهولة التي مات عليها ستة من أفراد طاقم سفينة «إيما»، والتي تكتم عليها جوهانسن المعاون للربان؟ ما نتائج التحقيقات التي أجراها نائب الأدميرالية؟ وماذا عُرف عن تلك العبادة الكريهة في مدينة دنيدن؟

الأروع من ذلك كله، ما الترابط العميق والطبيعي بين التواريخ التي أعطت دلالات شريرة، ولا يمكن إنكارها الآن لتطورات الأحداث المتنوعة التي

لاحظها عمي بعناية؟

وفي أول مارس – أو تحديدًا ليلة ٢٨ فبراير وفقًا لخط التاريخ الدولي(22) – ضرب الزلزال والعاصفة المدينة. ومن مدينة دنيدن، اندفع اليخت أليرت وطاقمه الوحشي بحماس وكأن شيئًا ما استدعاهم بشكل متجبّر، وعلى الجانب الآخر من الأرض بدأ الشعراء والفنانون في رؤية أحلام عن مدينة السيكلوبية المريبة، بينما نحت النحات الشاب أثناء نومه تمثال كثولو اللعين. وفي يوم ٢٣ مارس، هبط طاقم سفينة «إيما» على جزيرة مجهولة وأسفر عن مقتل ستة رجال؛ في ذلك التاريخ، اكتسبت أحلام الرجال شديدي الحساسية وسريعي التأثر حالة من الحماسة الزائدة والمظلمة في نفس الوقت بسبب الهلع من ملاحقة المسخ العملاق لهم، في حين أن مهندسًا معماريًّا قد جن جنونه، والنحات قد دخل فجأة في مرحلة الهذيان! وماذا عن هذه العاصفة التي وقعت يوم ٢ إبريل؟ نفس التاريخ الذي توقفت فيه كل أحلام الحالمين بالمدينة الرطبة، وأفاق ويلكوكس سليمًا من تأثير الحمى الغريبة؟ ماذا عن كل هذا - وعن تلك التلميحات التي أشار إليها كاسترو العجوز عن الكيانات القديمة العظيمة الغارقة ومصنوعة من النجوم

ولا عن حكمهم القادم أو سيطرتهم على الأحلام وطقوسهم المؤمنين بهم؟ هل كنت أترنح على حافة أهوال فلكية تتجاوز قدرة الإنسان على التحمل؟ إذا كان الأمر كذلك، فلا بد أنها أهوال اختلقها العقل وحده؛ لأنه بطريقة ما وضع الثاني من إبريل حدًّا لأي خطر جسيم قد بدأ في حصار الروح البشرية.

في ذلك المساء، بعد يوم من التعجيل في إرسال التلغرافات وإجراء الترتيبات السريعة، ودَّعت مضيفي وأخذت قطارًا إلى سان فرانسيسكو. وفي أقل من شهر، سافرت إلى مدينة دنيدن، حيث اكتشفت أن ما هو معروف عن ممارسي الطقوس غريبي الأطوار الذين بقوا في حانات البحر القديمة كان ضيئلاً جدًّا.

كان رعاع الساحل البحري شائعي الانتشار، فلم يشيروا لهم بشكل خاص؛ على الرغم من أنه كان هناك حديث غامض عن رحلة داخلية واحدة قام بها هؤلاء المهجنون؛ حيث لوحظ خلالها دقات الطبول الهندية الخافتة والوهج الأحمر على التلال البعيدة. في أوكلاند علمت أن جوهانسن قد عاد وتحول لون شعره الأصفر إلى الأبيض بعد استجواب روتيني وغير نهائي في مدينة سيدني، وبعد ذلك باع منزله في شارع ويست ستريت، ثم سافر بحرًا مع زوجته

إلى منزله القديم في مدينة أوسلو. وعن تجربته المؤثرة، لم يخبر أصدقاءه أكثر مما أخبر المسئولين الأدميراليين، وكل ما تمكنوا من فعله هو أنهم أعطوني عنوانه في أوسلو.

بعد ذلك، توجهت إلى سيدني وأجريت تحقيقات لا جدوى منها مع البحارة وأعضاء نيابة الأدميرالية. رأيت يخت أليرت، تم إصلاحه واستخدامه الآن في الملاحة التجارية، في ميناء «سيركولار كواي» في خليج «سيدني كوف»، لكنها لم تكسب أي شيء من البضائع المهربة. وفي متحف هايد بارك، رأيت ذلك التمثال الغريب للكائن الجاثم ذي رأس الحبار، وجسم التنين، والأجنحة مغطَّاة بالحراشف والقشور، وقد غطت النقوش الغائرة القاعدة، فقد درست ذلك التمثال جيدًا لفترة طويلة؛ فهو في رأيي نحت مشؤوم رغم أنه صُنع ببراعة وإتقان، كما يتميز بنفس الغموض التام، والعتاقة البشعة، والغرابة الخارقة للطبيعة التي تتميز بها المواد التي كنت قد لاحظتها في العينة الصغيرة بحوزة ليجراس. كما قال لي أمين المتحف إن الجيولوجيين اكتشفوا لغزًا رهيبًا بلا حل؛ فقد أقسموا بأنه لا يوجد في هذا العالم صخور من هذا النوع.

تذكرت ما قاله كاسترو العجوز للمفتش ليجراس

عن الكيانات القديمة فارتعش جسدي.

«في الحقيقة، هذه الكيانات جاءت في الأصل من النجوم، ثم هبطت إلى الأرض وجلبت معها صورتها».

هزت هذه الثورة العقلية صميم كياني هزًّا، وكأنني لم أكن أعرف قط مثل هذه المعلومات من قبل، فقررت أن أزور جوهانسن مساعد ربان السفينة في أوسلو. هكذا أبحرت إلى لندن، ثم انطلقت مباشرة إلى العاصمة النرويجية. وفي يومٍ خريفيٍّ على أرصفة الميناء المنمقة التي تخيم عليها ظلال قلعة ايجبيرغ، اتجهت إلى منزل جوهانسن الذي يقع في البلدة القديمة للملك هارولد الثالث، والذي حفظ للمدينة اسم أوسلو على مر القرون؛ رغم أن المدينة الكبرى كانت تحمل اسم «كريستيانا» طيلة الحروب الصليبية. ثم قمت برحلة قصيرة عن طريق سيارة الأجرة، وأخذ قلبي يخفق حينما طرقت باب مبنى أنيق وعتيق ذي واجهة أمامية جبسية، ففتحت لي امرأة حزينة متشحة بالسواد، وتصلبت مصعوقًا وكأن ردها ألجم لساني وانتابتني خيبة أمل عندما أخبرتني متلعثمة في حديثها بالإنجليزية بأن غوستاف جوهانسن قد مات.

قالت زوجته إنه لم يعش طويلاً بعد عودته؛ لأن

أهوال البحر التي شهدها عام ١٩٢٥ قد حطمته نفسيًّا. لم يخبرها بأكثر مما قاله للجموع، لكنه قد ترك بعض الأوراق - عن «المسائل التقنية» كما قال - المكتوبة باللغة الإنجليزية، لحمايتها من خطر التصفُّح العارض. كان يمشي عبر ممر ضيق بالقرب من مرسى غوتنبرغ، عندما سقطت فوقه حزمتان من الجرائد من نافذة بصندرة بيت ما طرحته أرضًا. وساعده اثنان من بحارة اللاسكار(23) على النهوض على قدميه، ولكن قبل أن تصله سيارة الإسعاف كان قد لقي مصرعه. عجز الأطباء عن إيجاد سبب مقنع لوفاته، واستنتجوا أن قلبه الضعيف وجسمه الواهن هما سبب الوفاة.

شعرت الآن بذعر ونخر في أعضائي الحيوية.. هذا الرعب المظلم الذي لن يفارقني أبدًا إلى أن ألقى حتفي أنا أيضًا «في حادث» أو «بمحض الصدفة» أو بأي شكل آخر. قد سمحت لي زوجته بأن آخذ الأوراق التي تركها زوجها بعد محاولاتي في إقناعها أني على صلة به ولأنها لا تهتم لما فيها، هكذا رحلتُ ومعي الأوراق واستطعت قراءتها وأنا على متن السفينة عائدًا إلى لندن.

كانت المذكرات بسيطة ومشتتة بعض الشيء، فهي اجتهاد بحّار ساذج في كتابة مذكرات يصف

تفاصيل رحلته بأثر رجعي؛ خاصةً رحلته الأخيرة المربعة وتوثيقها يومًا بعد يوم. فهي مليئة بتفاصيل لا داعي لسردها بسبب غموضها وسوادها وتكرارها، لذا سأحاول أن ألخصها، فقد توضح لماذا لم أعد أطيق صوت ارتطام المياه على جانبي السفينة لدرجة أنني سددت آذاني بالقطن.

الحمد لله أن جوهانسن لم يكن يعرف كل شيء، رغم أنه رأى المدينة وهذا الشيء، لكنني لن أتمكن من النوم بسهولة ثانية وأنا أعرف كم الأهوال التي نجهل عنها كل شيء، وأيضًا تلك الكيانات الدنسة والمخيفة التي سقطت من النجوم العظمى وتحلم تحت البحر، بينما يمارس أتباعهم طقوسهم البشعة وينتظرون أية فرصة لإطلاق سراحها على العالم مع أول هزة أرضية تضرب مدينتهم الحجرية المخيفة وتحررها من جديد وترفعها لتخرج إلى الشمس والهواء.

في ٢٠ فبراير، بدأ جوهانسن رحلته على سفينة «إيما» التي كانت خالية من البضائع وقتها، حيث اجتازت مدينة أوكلاند، وشعر بالقوة الكاملة لذلك الزلزال الذي حرك قاع المحيط ذاته، وأطلق الأهوال والرعب من قاع البحر لتغزو أحلام الرجال. وبعد أن أصبحت السفينة تحت السيطرة مرة أخرى، مضت

بعد هذا حتى قابلت اليخت أليرت يوم ٢٢ مارس ووقعت المعارك، وقد شعرت بأسى مساعد الربان الممزوج بالندم وهو يكتب عن قصفها وغرقها. وتحدّث عن عبدة الشيطان ذوي البشرة الداكنة على متن اليخت أليرت برعب شديد. يبدو أن الصفات البغيضة والبشعة التي كانوا يتسمون بها جعلت تدميرهم واجبًا، أبدى جوهانسن تعجبه الشديد من تهم العنف والقتل الوحشي الموجهة إلى طاقمه خلال التحقيقات في المحكمة.

بعد ذلك، ابتعد اليخت وعلى ظهره جوهانسن ورجاله - كما قالت الصحيفة - إلى أن دفعهم الفضول حين لمحوا عمودًا صخريًّا ضخمًا يبرز من البحر، عند جنوب خط العرض ٤٧°٩'، وغرب خط الطول ١٢٣°٤٣'، وعلى شريط ساحلي المختلط بالوحل والطمي الأخضر والطحالب البحرية، لمحوا صدفة بناءً سيكلوبيًا ضخمًا تكسوه طحالب خضراء لزجة؛ يعد - على حد وصفهم - من أبشع أشكال الهلع على أرض الواقع وبؤرة الرعب الأعظم على وجه الأرض.

هنا وجدوا أنفسهم أمام بقايا مدينة الموتى الكابوسية المسماة «روليا»؛ المدينة التي بُنيت في أزمنة سحيقة لا حصر لها في فترة ما قبل التاريخ

على يد الكيانات الهائلة المرعبة التي هبطت من النجوم المظلمة. وهناك يرقد الكائن العملاق كثولو وعشيرته، يرقدون في قبورهم المغطاة بقباب طينية مخاطية خضراء عملاقة؛ وبعد عصور لا تُحصى، يرسلون بلا توقف تلك الأفكار والصور المروعة التي صارت أحلام الرجال شديدي الحساسية، ويدعون – باستبداد - تابعيهم المخلصين والمؤمنين بهم إلى أن يأتوا لتحريرهم وإعادة إحيائهم. لم ير جوهانسن كل هذا، ولكنه سرعان ما رأى ما يكفي لإقناعه أو ربما أكثر مما يحتمل أي بشر!

أفترض أن المياه انبثقت منها قمة جبلية واحدة فقط، تلك هي القلعة البشعة ذات المسلات والنصب الحجرية المتوّجة التي دُفن فيها كثولو الأعظم. وكلما فكرت في كم الأهوال المخيفة التي قد تكون مختبئة، تمنيت هناك لو أنني أقتل نفسي على الفور. زاد شعور جوهانسن ورجاله بالرهبة من العظمة الكونية لهذه المدينة (بابل) التي تضج بالشياطين العظمى، ويبدو أنهم خمنوا دون وجود أية أدلة أن هذا الشيء لا ينتمي إلى هذا الكوكب أو إلى أي كوكب طبيعي. لا بد أن الذهول أصابه ورفاقه وأفقدهم النطق وخمنوا أن هذا المشهد لا يمت بالتفصيل لعالمنا هذا. وظهرت معالم الرهبة بشكل محزن بين السطور التي خطّها البحّار ليصف

رعبه مما رآه هناك في تلك المدينة؛ حيث استوقفته شدّة ضخامة حجم الكتل الحجرية المخضرة، والارتفاع المذهل للمسلات والنصب المنحوتة العملاقة التي تُصيب بالدوار، والتطابق المدهش بين التماثيل الضخمة والنقوش الغائرة مع التمثال المريب الذي عُثر عليه في ضريح صغير في قمرة اليخت «أليرت»، وكل هذا ألجم ألسنتهم.

وبدون أن يعرف أي شيء عن الحركة المستقبلية، عندما وصف جوهانسن تلك المدينة في أوراقه وصف شيئًا قريبًا جدًّا من تلك الحركة. عندما يصف جوهانسن المدينة في أوراقه فهو لا يصفها عن الانطباعات العامة للزوايا الواسعة والصخور العملاقة – أعني شديدة الضخامة بحيث لا يمكن أن تنتمي إلى أي شيء سوي أو طبيعي يمت لهذا العالم، وكذلك الدنسة والأثيمة بسبب التماثيل المروعة والنقوش المفزعة والكتابات الهيروغليفية المحفورة عليها. علق الرجل كذلك على الزوايا الغريبة للمباني وهو يذكرني بما قاله ويلكوكس بخصوص أحلامه المروعة عن هندسة هذا المكان وكيف كانت غير سوية، لا تمت للهندسة الإقليدية التي نعرفها بصلة، وحافلة بشكل مقزز بالدوائر والأبعاد، بعيدًا عن دوائرنا وأبعادنا. الآن، شعر بحّار أُمّيّ بالشيء نفسه وهو يحدق فى الواقع

الرهيب.

لقد هبط جوهانسن ورجاله على ضفة موحلة ومائلة من تلك المدينة تؤدي إلى قلعة عالية مَهُولة، وتسلقوا فوق صخور التيتان العملاقة الزلقة؛ حيث لا يمكن أن تكون درجات سُلَّم مخصص للبشر أو تمت لعالمنا الفاني. بدت نفس الشمس الساطعة في السماء مشوهة عندما تراها عبر البخار العفن المتصاعد من هذا الجنون المغمور بالبحر، أما النظرة الثانية للأشياء فقد تصيبك بالجنون وتجعلك ترى تلك الزوايا المراوغة الجنونية من صخرة منحوتة محدبة بعد ما كانت تراها عند اللمحة الأولى مقعرة.

شعر جميع البحارة المستكشفين برعب هائل رغم أنهم لم يروا سوى الصخور والوحل والطحالب، حتى جاء من بعيد شيء من قبيل الرعب وأصبح على مرمى بصرهم. وكان كل واحد منهم على وشك الفرار لولا خشيته من استحقار وسخرية رفاقه، وكانوا يفتشون على مضض عن بعض الأشياء ليحملونها كتذكار وهم في طريقهم للعودة للوطن.

كان البرتغالي رودريجو هو من تسلق قاعدة البناء وهتف لينادوهم كي يروا ما رآه هناك. هرعوا يرون فلمحوا الباب العملاق وعليه نقوش غائرة على

شكل الكائن الأخطبوطي الذي قد أصبح مألوفًا بالنسبة لهم الآن. وحسب وصف جوهانسون، فإنه كان يشبه باب الحظيرة الكبير. وشعروا جميعًا أنه كان بابًا بسبب الزخارف المنحوتة حول عتبته وعارضته العليا وعضائده، لكنهم لم يتمكنوا من الجزم ما إذا كان الباب بالعرض مثل الباب الخفي المسحور أم مائلًا مثل باب قبو خارجي. كما قال ويلكوكس، من الواضح أن هندسة المكان كلها كانت خطأ. لا يمكن للمرء أن يعرف إن كان البحر والأرض أفقيين أم لا، وبالتالي فإن الوضع النسبي لكل شيء آخر يبدو متغيرًا بشكل يفوق الخيال البشري.

حاول برايدن دفع الحجر مرارًا وتكرارًا، لكن دون جدوى. ثم تحسس دونوفان الباب بحثًا عن طريقة لفتحه ممررًا يده حول الحافة بدقة شديدة، وضغط على كل نقطة على حدة بينما يحرك يده حول زوايا الحجر. ثم تسلق بدون توقف على القالب الحجري ذي الزخارف البشعة — لا يسعنا سوى أن نسميها تسلقًا طالما لم يكن الشيء أفقيًّا — وتساءل الرجال كيف يمكن لأي باب في الكون أن يكون شاسعًا إلى هذه الدرجة؛ حيث بلغ عرضه فدانًا تقريبًا. ثم، فجأة وببطء شديد، بدأت عتبة الباب الضخمة تنفتح إلى الداخل من الجهة العليا؛ حتى رأوا أنه موارب

انزلق دونوفان أو دثَّر نفسه بطريقة ما أسفل العضائد أو بينها، ثم عاد مرة أخرى إلى زملائه، وشاهد الجميع التراجع الغريب للبوابة المنحوتة المهولة التي لا يعلم أحد ماذا تخفي وراءها. ونظرًا لما في مخيلتهم عن هذا المكان المشوه معماريًّا، كانت هذه البوابة تدور بحركة قُطريّة منحرفة متحديةً كل قوانين المادة والجاذبية.

كانت الفوهة سوداء خلفها ظلام دامس، وسواد حالك يكاد يتجسد إلى واقع توشك أن تلمسها تقريبًا. في الواقع كان لهذا السواد الحالك ميزة جيدة؛ لأنها تحجب أجزاء داخلية من الباب كان يجب أن يُكشف عنها، ثم خرج الظلام فعليًّا مثل الدخان الذي انبثق من محبسه الطويل دام عصورًا سحيقة، فحجب رؤية الشمس وأظلم السماء وهو يطير بعيدًا محلقًا بجناحين غشائيين ضخمين في السماء المنقبضة والمحدبة. كانت الرائحة المنبثقة من أعماق الفوهة التي فُتحت حديثًا لا تُطاق. وعلى بُعد أميال، أحس هوكينز ذو الأذنين الحساستين بأنه يسمع وقع خطوات موحِلة.. بطيئة.. لشيء بغيض ينزلق تحت.

ثم سمع الجميع نفس الصوت، ووقفوا بلا حراك يصغون إلى وقع خطوات متثاقلة تقترب نحوهم

شيئًا فشيئًا، إلى أن أصبح الظل على مرأى البصر، وحشر جسده الضخم الجيلاتيني الأخضر عبر الفوهة متحسسًا طريقه في الظلام ليخرج إلى الهواء الملوّث لهذه المدينة المسممة بالجنون.

وهنا تخلت عن جوهانسن المسكين قدرته على الكتابة. من بين الرجال الستة الذين لم يصلوا أبدًا إلى السفينة، يعتقد أن رجلين قد لقيا حتفهما بفعل الذعر في تلك اللحظة الملعونة. هذا الشيء لا يمكن وصفه. لا توجد لغة تصف مثل هذا الجحيم الذي يعج بالصرخات ونوبات الجنون العتيقة، مثل هذه التناقضات الشريرة في كل شيء بدءًا من الأجسام والقوى والنظام الكوني. ثم بدأ الجبل يمشي أو يتعثر أمام أعينهم. يا إلهي! فلا عجب إذن أن في نفس اللحظة التي حدث فيها تبادل الخواطر عبر أرجاء الأرض المختلفة يجن جنون مهندس معماري عظيم ويصاب ويلكوكس المسكين بالحمى. لقد نهض هذا الشيء الذي يشبه الكائن المنحوت في الأصنام، ذلك الكائن الأخضر اللزج سليل النجوم، لينال حكمه. ورغم أن النجوم كانت جاهزة في مواضعها المناسبة مرة أخرى، فإن ما فشلت فيه أتباع هذه العبادة القديمة على مدى قرون، نجحت فيه مجموعة من البحارة التعسين بمحض الصدفة. بعد آلاف الملايين من السنوات

أُطلق سراح الكائن كثولو الأعظم مرة أخرى، فعاد ليصطاد ويقتل من أجل اللذة.

قبل أن يفر أحد سقط ثلاثة رجال في براثن الكائن المخيفة، وقد مستهم الممسات المفجعة؛ دونوفان، وجوبربرا، وأنجستروم رحمهم الله، إذا كانت هناك أي راحة في الكون. انزلق باركر بينما كان الثلاثة الآخرون يهرولون بهستيرية فوق آفاق لا نهاية لها من الصخور المتقشرة ويغطسون في المياه الزلقة الخضراء للوصول إلى القارب. ووجد جوهانسن نفسه محشورًا في أحد زوايا المبنى الحجري، وقد حاولت ابتلاعه، وأقسم أنه رآه يتحرك من مكانه؛ الغريب أن تلك الزاوية بدت لعينه حادة، ولكنها كانت منفرجة من الداخل. وأخيرًا وبعد معارك ضارية مع قوى غير طبيعية لا يستطيع أي عقل بشري أن يستوعبها، تحرر وجرى مع رفيقه بريدن ونجحا في الوصول إلى القارب، ثم انطلقا نحو يخت «أليرت» وانتابهما شعور باليأس الشديد، بينما ارتمى المسخ الضخم مترددًا على الصخور اللزجة ومشى متعثرًا ومثقل الخطى عند حافة المياه.

وعلى الرغم من ذهاب جميع البحارة إلى الشاطئ، لم تنخفض درجة حرارة بخار الماء كليًّا وكادت

تكفي لتشغيل محرك السفينة البخارية ولو لبرهة من الوقت. لم يستغرق الأمر سوى بضع دقائق كي يتحرك «أليرت» مبتعدًا عن تلك المياه اللعينة، حيث تطلب تشغيلها فقط لحظات قليلة من اندفاع البخار المحموم صعودًا وهبوطًا بين العجلات والمحركات لتبدأ رحلتها إلى العودة. ورغم بطء مسيرتها وسط الأهوال المشوهة والملتوية في هذا المشهد الذي يتعذر وصفه، بدأت السفينة تشق طريقها في أعماق المياه المميتة. بينما حط على المبنى الحجري بشاطئ الموتى الذي لا ينتمي إلى هذه الأرض كائن التيتان العملاق سليل النجوم؛ حيث ظل يطلق صرخات بشعة وهو يسيل لعابه من شدة الجوع مثله مثل الكائن بوليفيموس(24) الذي مكث على الشاطئ ليراقب ويلعن سفينة أوديسيوس الهاربة. ولكن على عكس ما حدث في الميثولوجيا اليونانية، كان كثولو المرعب أكثر جرأة من كائنات السايكلوب الشهيرة؛ حيث تقدم نحو الضفة وانزلق بسرعة في الماء، وراح يسبح نحوهما ليطارد اليخت بضربات ترفع الأمواج بقوة كونية. ظل برايدن يرمق المشهد ويضحك. وأصابه الجنون من هول المشهد، ظل يضحك ضحكات هستيرية صاخبة ويضحك حتى عثر الموت عليه ذات ليلة في القمرة. أما جوهانسن، فبدأ يهذي.

لكن جوهانسن لم يستسلم وتماسك لأنه أدرك أن بوسع هذا الشيء الذي سد الطريق أن يلتهم اليخت أليرت في أية لحظة قبل أن يضخ بخار الماء في المحرك بالكامل، لذا فقد قرر أن يحاول محاولة بائسة وزاد سرعة المحرك إلى أقصاها ثم جرى على السطح بسرعة البرق وعكس وضع عجلة القيادة، دوى صوت مخيف، وتكونت دوامات مائية ضخمة، وتصاعدت رغوات مزبدة في مياه البحر نتنة الرائحة، وتزايد البخار الخارج من المحرك أكثر فأكثر. اندفع النرويجي الشجاع بسفينته نحو كتلة الهلام العملاقة التي تطارده وارتفعت فوق زبد البحر الدنس مثل مؤخرة سفينة إبليس. اقترب الكائن ذو رأس الحبار المخيف ذو اللوامس المُتَلَوية إلى الصاري المائل في مقدمة السفينة الصلبة، ولكن جوهانسون قاد السفينة بلا هوادة وواصل الاندفاع نحوه. كان هناك انفجار مثل المثانة المتفجرة، ومثل شراسة وقبح سمكة شمس المحيط الشيطانية، ومثل رائحة عفنة تفوح من آلاف القبور المفتوحة، وضوضاء لا يقدر المؤرخ على تسجيلها على الورق ولا يستوعبها عقل بشري.

وللحظة، غمرت السفينة سحابة خضراء حارقة ومُغشية للرؤية وعفنة الرائحة، ثم اخترق اليخت

الشيء الكريه، وهنا راح ذلك الشيء يلتحم ثانية كأنه غاز سام؛ حيث – يا إله السماوات! - عادت الليونة المتناثرة لذلك الشيء سليل السماوات الذي لا يحمل اسمًا إلى شكلها الأصلي البغيض، لكنه كان يبتعد.. في كل ثانية كانت المسافة بين الكائن واليخت تتزايد، بينما أليرت يظفر بمزيد من السرعة، مع تزايد ضخ بخار الماء في محركه. هذا كل شيء.

بعد ذلك أخذ جوهانسن يفكر بعمق في الصنم في المقصورة، هنا فقط استطاع أن ينزل إلى قاع اليخت ليظفر بشيء من الطعام وذلك المجنون الذي لا يكف عن الضحك بجواره. لم يحاول الإبحار بعد أول محاولة هروب جريئة؛ لأن رد الفعل الذي رآه قد أفقده جزءًا من روحه. ثم هبت عاصفة ٢ إبريل، تراكمت الغيوم حول عقله الواعي ولم يعد يذكر أي شيء. شعر بمشاعر متخبطة وبدوار طيفي كأنه يبحر حول الخلجان اللا نهائية الذائبة، ويركب الخيل المُدَوخّة عبر المجرات المترنحة متعلقًا بذيول الشهب، ووثبات هستيرية من القاع إلى القمر، ومن القمر إلى القاع ثانية، جميع تلك المشاعر يفعمها بالحياة أصوات قهقهات كورس الآلهة الكبيرة الممسوخة والصاخبة، عفاريت تارتاروس(25)

الخضراء الساخرة ذات أجنحة الخفافيش.

أفاق من ذلك الحلم وهو لا يعرف متى ولا كيف جاءت سفينة فيجيلانت لتنقذه، ولا كيف ظهر أعضاء نيابة الأدميرالية، أو شوارع دنيدن، أو الرحلة الطويلة في الوطن إلى المنزل القديم بجانب قلعة ايجبيرغ. لم يستطع أن يكتب ما رآه ولم يصفه حتى لا يحسبوه مجنونًا. فقد قرر أن يكتب ما يعرفه لمّا شعر بقرب موته، لكن كان يجب على زوجته ألا تخمن. الموت سيكون نعمة لو كان بوسعه محو الذكريات.

هذا هو ما كتبه، والآن قد وضعت الأوراق في صندوق الصفيح بجوار مذكرات عمي البروفيسور أنجيل، وذلك النحت الغائر. وبعد اكتشاف كل هذه الحقائق ستخضع كل قناعاتي للاختبار تأكيدًا لسلامة عقلي، وضعت كل القطع معًا كي تكتمل الصورة وياليتها لا تكتمل ثانية.

لن أقدر على النظر إلى الكون بالطريقة ذاتها فقد أصبح الكون يخفي بين ثناياه رعبًا، كما أن سماء الربيع وزهور الصيف سوف تكون أقرب إلى السم بالنسبة لي. لكنني لا أحسب حياتي ستكون طويلة؛ لأنني سأرحل كما رحل عمي المسكين، وكما ذهب جوهانسن. فأنا أعرف أكثر مما ينبغي، وما زالت

العبادة مستمرة.

إن الأتباع أحياء وكذلك كثولو، على ما أظن؛ حيث يعيش في صدع في الصخور الذي كان يحميه منذ أن كانت الشمس يافعة. لقد عادت مدينته الملعونة بالغوص تحت البحر مرة أخرى؛ حيث عبرت سفينة فيجيلانت تلك البقعة مرة أخرى بعد عاصفة إبريل فلم تر شيئًا. لكن كهنته وأتباعه على الأرض ما زالوا يصيحون غضبًا ويطفرون مرحًا ويذبحون بقسوة حول المسلات الصخرية المكللة بالأصنام في مناطق مهجورة. لا بد أنه فوجئ بأنه يغوص ثانية أثناء وجوده في هاوية سوداء، وإلا لكان العالم يصرخ اليوم من الخوف والرعب والجنون.

من يعرف النهاية؟ ما طفا قد يغرق، وما قد غرق قد يطفو.

البشاعة تنتظر وتحلم في الأعماق، وبينما العطب والانحلال يزحف على مدن البشر المتزعزعة. سوف يأتي وقت كثولو - ولكن ليس بوسعي ولا يجب أن أفكر في الأمر!

أدعو الله، لو لم أعش طويلًا ولم أنج من هذه المذكرات، أن يتوخى مَن يعدمونني الحذر قبل الإقدام على قتلي، ويحرصوا على أن هذه السطور لن تراها عين بشرية أخرى.

(1) الثيوصوفية: تعني الحكمة الإلهية، وهي تتضمن علومًا، وفلسفة ودينًا. ويزعم أصحابها أنها كانت حاضرة بدرجة مهمة وأقل أهمية على طول التاريخ. كانت قد نشرت في البداية عن طريق السيدة هيلينا بتروفنا بلافاتسكي في نهاية القرن التاسع عشر وعن طرق أخرى من بعد موتها. كلمة (ثيوصوفية) جاءت من اليونانية من (ثيوس) وتعني «الله»، و(سوفوس) وتعني «حكمة»، وتترجم كـ: حكمة إلهية. والكلمة كانت تستعمل في الماضي من قبل الفراعنة في مصر القديمة. حتى أسست السيدة بلافاتسكي الجمعية الثيوصوفية في عام ١٨٧٥. الثيوصوفية في نظر السيدة بلافاتسكي هي الأساس لكل الفلسفة، والديانات في العالم، تُعَلَّم وتُطَبَّق بأقلية مختارة منذ أن يتحول الإنسان إلى مفكر. وتعتبر عملية روحانية.

(2) البناء بالحجارة السيكلوبية يُعد نوعًا من أشهر الأعمال المعمارية في اليونان القديمة؛ حيث بُنِيَت من الأحجار الضخمة غير متناسقة الأحجام وتم صقلها باستخدام المطارق ثم سد الفجوات بينها بقطع أصغر من الحجر الجيري. هذا المصطلح يأتي من اعتقاد اليونانيين القدماء أن كائنات السايكلوب

الأسطورية فقط كان لديها القدرة على تحريك تلك الأحجار الضخمة. ففي الميثولوجيا الإغريقية، السايكلوب هم مسوخ من جنس العمالقة، ذوو عين واحدة وسط الجبهة، وهم عمال مهرة يصنعون الصواعق وأسلحة الآلهة ويحققون الأعمال الضخمة. وجدير بالذكر أنه تم العثور على جدران مبنية بالحجارة السيكلوبية في مواقع أثرية باليونان القديمة؛ مثل تيرنز وموكناي.

(3) فلور دي لي: تعني بالفرنسية زهرة الزنبق (بالفرنسية: fleur-de-lis) وتسمى أحيانًا بـ «زهرة الليلي». وهي شعار رمزي يمكن أن يستخدم كأساس تصميم الديكور أو كرمز مستقل بحد ذاته. خلال العصور الوسطى تداخلت زهرة الزنبق مع الفن المسيحي، وارتبطت تدريجيًّا مع نشيد للملك سليمان «زنبقة بين الأشواك»، وأشير بها إلى مريم العذراء. رمزت الزنبقة في الأدب الديني إلى النقاء والعفة. وكان يعتقد أيضًا أن زهرة الزنبق تمثل الثالوث المقدس.

(4) هي مدينة بحرية لبنانية تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ومن أشهر حواضر العالم عبر التاريخ.

(5) الجبابرة أو عرق التيتان بحسب الميثولوجيا الإغريقية: هم عرق من الآلهة الأقوياء الذين حكموا الأرض خلال العصر الذهبي الأسطوري، وهم العرق السابق للآلهة الأولمبية. اختلفت الأساطير القديمة في وصفهم باختلاف الفترة الزمنية والمنطقة التي تأصلت منها الأسطورة، إلا أنهم كانوا يعدون في غالبية الأوقات تجسيدات لقوى الطبيعة ومظاهرها المختلفة. المعنى الحرفي لاسم الجبابرة بالإغريقية هو «الآلهة المجهدة» أو المكافحة، وهم يعرفون أيضًا بالآلهة القدماء، أبناء الجنة، وقبيلة أورانوس.

(6) هذه العبارة «Cthulhu fhtagn» جزء من أسطورة كثولو للكاتب لوفكرافت، وتترجم إلى «كثولو ينتظر هناك» أو «ينام هناك».

(7) الرسام الفرنسي أوردوا- بونوت: هو شخصية غير حقيقية نسجها لوفكرافت من خياله لتلك القصة القصيرة. أوردوا- بونوت هو مثال للاضطرابات النفسية في جميع أنحاء العالم، ويتنبأ بظهور كائن غريب الأطوار في عالمنا هذا.

(8) الفودو: هو مذهب ديني توفيقي متأصل في غرب إفريقيا، ويمارس في أجزاء من منطقة الكاريبي، خاصة في هاييتي وأجزاء من جنوب

الولايات المتحدة. ووفقًا لمعتقد سائد فإن أتباع «الفودو» يمكن أن يغرسوا دبابيس في دمى تمثل أعداءهم ويحرقوها على أمل أن تصيبهم اللعنة، ويقال إنهم يستطيعون تحويل الناس إلى زومبي. و»الفودو» نوع من أنواع السحر الأسود الذي يقوم أهله باستخدام الأشباح والجن لخدمتهم.

(9) الإسكيمو: هم شعب يسكن في شمال الكرة الأرضية، إسكيمو تعني «الناس الذين يأكلون طعامهم نيئًا».

(10) في أساطير الإسكيمو، تورناسوك هو أحد أقوى آلهة السماء، ومن أكثرهم أهمية، وأحد الآلهة الأكثر أهمية في هيكل آلهة الإسكيمو.

(11) الأنجيكوك: هم الأطباء الشعبيون أو الكهنة المعالجون في قبائل الإسكيمو، وهم أيضًا وسطاء روحيون.

(12) هذه العبارة «Ph'nglui mglw» «nafh» «Cthulhu R'lyeh wgah'n'agl fhtagn» جزء من أسطورة كثولو للكاتب لوفكرافت، وتترجم إلى «في بيته في روليا ينتظر كثولو الميت ويحلم»، أو «في منزله في روليا ينتظر الميت كثولو الحلم».

(13) سيور د إبرفيل (١٦ يوليو ١٦٦١ - ٩ يوليو ١٧٠٦): اسمه الكامل «بيير لو موين»، مكتشف وبحار كندي ـ فرنسي، مؤسس مقاطعة لويزيانا (بالولايات المتحدة الأمريكية حاليًّا). ولد إبرفيل في مونتريال، وخدم في البحرية الفرنسية. ومن عام ١٦٨٦ إلى عام ١٦٩٧ أغار على محطات تجارة الفراء بخليج هدسون محاولاً إخراج الإنجليز والفوز بكندا للفرنسيين.

(14) رينيه روبير كافالييه سور دو لا سال (٢١ نوفمبر ١٦٤٣ - ١٩ مارس ١٦٨٧): هو رحالة ومستكشف فرنسي هاجر إلى أمريكا، وتاجر هناك، وقام بمسح مناطق البحيرات العظمى ونهر المسيسبي، وقام بتأسيس لويزيانا عام ١٦٨٢.

(15) سيدني هيربرت سايم (١٨٦٥ - ٢٢ مايو ١٩٤١): فنان إنجليزي في أواخر العصر الفيكتوري والفترات التالية، معروف بأعماله الفنية الرائعة والساخرة، ولاسيما رسوماته للكاتب الأيرلندي اللورد دونساني. كان «سايم» أحد الفنانين المفضلين لكاتب الرعب لافكرافت؛ حيث كان يشير إلى أعماله في قصصه القصيرة.

(16) أنتوني أنجورا (١٨٩٣-١٩٢٩): رسام

أمريكي، وطبّاع، ومدرس رسم. تخرج في مدرسة معهد الفن في شيكاغو. منذ أن كان مهاجرًا إيطاليًّا بنفسه، ركز عمله على الأشخاص الذين ناضلوا للتكيف مع ثقافة أجنبية. كان أنجورا أحد الفنانين المفضلين لكاتب الرعب لافكرافت؛ حيث كان يشير إلى أعماله في قصصه القصيرة.

(17) إرَم ذات العماد: هي مدينة مفقودة (قد تكون قبيلة) لم يكتشف موقع هذه المدينة (أو القبيلة) بعد. بعض الباحثين رجحوا أن تكون دمشق أو الإسكندرية، وبعضهم رجح أنه جبل رام بالأردن، وهناك من يرجح أنها مدينة أوبار في سلطنة عمان، إلا أن أبحاثًا حديثة عام ٢٠٠٢ فندت هذه التوجه. ورد ذكر إرم في العديد من القصص العربية القديمة، وفي قصة ألف ليلة وليلة وبعد ترجمة هذه القصة انتقل اسم المدينة المفقودة إلى الأدب الغربي؛ حيث وردت في العديد من القصص لأدباء أوروبيين؛ مثل: إحدى روايات الكاتب الأمريكي هوارد فيليبس لافكرافت في قصة (بالإنجليزية: The Nameless City) المدينة التي ليس لها اسم.

(18) كتاب العزيف أو نيكرونوميكون (بالإنجليزية: Necronomicon): هو كتاب خيالي ذكره كاتب الرعب الأمريكي لافكرافت في

عدد من قصصه. وقد ألف الكتاب شاعر عربي من صنعاء اسمه عبد الله الحظرد، وكان يعرف أيضًا باسم «العربي المجنون». ويتحدث الكتاب عن الكيانات القديمة وتاريخها وكيفية الاتصال معها واستحضارها. ادعى لافكرافت أن الاسم نيكرونوميكون قد أتى إليه في حلم، وأرجع معناه إلى اللغة الإغريقية وتعني صورة عن قانون الموتى. إلا أنه عند تقسيم الكلمة Necronomicon إلى عدة أقسام وإرجاع الكلمات إلى جذورها، يأخذ اسم الكتاب أكثر من شكل مثل: كتاب الموتى، كتاب أسماء الموتى، كتاب قوانين الموتى، وكتاب دراسة الموتى أو تصنيف الموتى. ويُروى أن الغلاف الخارجي للكتاب مصنوع من جلد الموتى.

(19) آرثر ماشين (٣ مارس ١٨٦٣ - ١٥ ديسمبر ١٩٤٧): مؤلف وصوفي ويلزي في تسعينيات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. اشتهر بخياله الرهيب الخارق للطبيعة والخيال والرعب. كان «ماشين» أحد الفنانين المفضلين لكاتب الرعب لافكرافت؛ حيث كان يشير إلى أعماله. أثرت أعمال «ماشين» على كتابات لوفكرافت في أوائل العشرينيات من عمره. ومن الواضح استخدام «ماشين» أساطير الرعب الشهيرة في التراث

بمنطقة ويلز أو لندن التي ترتكب فيها جرائم بشعة، مما كان مصدر إلهام للكاتب لوفكرافت. قصة الكاتب ماشين «الشعب الأبيض» تتضمن إشارات غريبة إلى شعائر وكائنات غريبة ومجهولة أوحت إلى لوفكرافت فكرة استخدام نفس العناصر لبناء قصصه بشكل متكرر.

(20) كلارك أشتون سميث (١٣ يناير ١٨٩٣ - ١٤ أغسطس ١٩٦١): شاعر، ونحات، ورسام أمريكي، ومؤلف للقصص القصيرة الروائية والخيال العلمي. «سميث» كان صديق لافكرافت، وصداقته الأدبية معه استمرت من عام ١٩٢٢ إلى وفاته في ١٩٣٧. يتميز عمله بمفردات ثرية ومزخرفة بشكل غير عادي، ومنظور كوني، وعرق من الفكاهة والسخرية في بعض الأحيان. كتب سميث معظم قصصه الخيالية الغريبة وأسطورة كثولو، وهي مستوحاة جزئيًا من لوفكرافت.

(21) كاناكا (عمال وحشيون بجزر المحيط الهادئ): هو مصطلح كان يطلق على العمال من مختلف أنحاء جزر المحيط الهادئ؛ والعاملين بالمستعمرات البريطانية؛ مثل كولومبيا البريطانية (كندا)، وفيجي وكوينزلاند (أستراليا) في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وقد كانوا

يعملون كذلك في كاليفورنيا وتشيلي. تشير كلمة «كاناكا» بلغة هاواي في الأصل إلى سكان هاواي الأصليين، توجد ترجمات تقريبية لكلمة «كاناكا» ومن بينها: «الرجل الوحشي» و«الرجل الحيوان».

(22) خط التاريخ الدولي: هو خط وهمي على سطح الكرة الأرضية، منه يبدأ اليوم، وإليه ينتهي، ويمر على خط طول ١٨٠° عن مدينة غرينتش البريطانية، مع تعرج ناحية اليمين، أو اليسار؛ لتفادي الجُزر المأهولة بالسكان بقدر الإمكان، ويقسم خط التاريخ الدولي تقريبًا المحيط الهادي إلى قسمين: شرقي وغربي، ويلزم من كل مسافر عابرًا هذا الخط شرقًا أوغربًا تعديل التاريخ واليوم بمقدار يوم كامل، أي ٢٤ ساعة.

(23) اللاسكار: هو بحارة أو ميليشيات من شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا والعالم العربي وأراضٍ أخرى تقع شرق رأس الرجاء الصالح، كانوا يعملون في سفن أوروبية من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن العشرين.

(24) بوليفيموس: أحد شخصيات الميثولوجيا اليونانية، وهو أشهر كائنات السايكلوب ذات العين الواحدة، وهو ابن بوسيدون والحورية ثيبسا،

وكان يعيش في كهف جنوب غرب صقلية، ويملك قطيعًا كبيرًا من الحيوانات، ضخم الجثة وله عين واحدة وسط جبهته، ويلتهم لحم البشر ولا يقيم وزنًا لقانون إلهي أو بشري. ذكر في الأوديسة عندما حط أوديسيوس على شاطئ صقلية. وعندما طلب المساعدة من بوليفيموس قبض عليه هو ورجاله الاثنا عشر، وأغلق عليهم باب الكهف بصخرة ضخمة. ووصف هوميروس بشكل مفصل كيف أن أوديسيوس استطاع أن يجعل العملاق مخمورًا وسمل عينه الوحيدة بأن أدخل عمودًا مشتعلاً فيها عندما كان نائمًا، ومع ستة من رفاقه الآخرين الذين التهمهم بوليفيموس. استطاع أوديسيوس الهرب بأن تعلق ببطون الخراف التي أخرجها بوليفيموس للمرعى، وكان أوديسيوس قد أخبره في البداية أن اسمه «لا أحد». فعندما هرب إلى البحر صرخ بوليفيموس للآلهة أن «لا أحد» أذاه.

(25) تارتاروس: في الميثولوجيا الإغريقية وهو زوج غايا ووالد تايفوس والعمالقة. وفي الإلياذة يمثل السجن تحت الأرض أبعد من هاديس، كما أن الأرض أبعد من السماء ويسكنها الذين تمردوا في حياتهم ضد زيوس. وفي الكتابات اللاحقة هو مكان عقاب المخطئين على الأرض بعد موتهم، أصبح

يستعمل كرمز للعالم السفلي.